مقدمة

الحمد الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن العشق مسلكٌ خَطِر، ومَوْطِئٌ زَلِقٌ، وبَحْرٌ لُجِّيٌّ.

وعالم العشاق مليء بالآلام والآمال، محفوف بالمخاطر والأهوال.

وأهل العشق يعانون من ويلاته، ويلاقون العناء من مراراته; ذلك أن العشق داءٌ دويٌّ، تذوب معه الأرواح، ولا يقع معه الارتياح; فمن ركب بحره، وتلاعبت به أمواجه كان إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة.

هذا وإن البلاء بهذا الداء قدْ عمَّ وطم; ذلك أن محركاته كثيرة، والدواعي إليه متنوعة متشعبة; فلا غرو أن يكثر ضحاياه، والمبتلون به; فحق علينا_إذاً_أن نرحم أهل هذا البلاء، ومن الرحمة بهم إراءتُهم هذا البلاءَ على

حقيقتــه، والبحــث فــي ســبل علاجــه والوقاية منه.

وليس من الرحمة بهم أن نذكي نيـران عشقهم بذكر أخبار العشاق، وتصــويرهم على أنهم أبطال; فنحرك بـذلك الكـامن، ونبعــث كــل ســاكن; بــدعوى تســلية العشــاق، وتزجيــة فراغهــم، والتوســعة عليهم.

فليس هـذا مـن الرحمـة; فـأي رحمـة ترجى وهي على حساب زيادة البلاء؟

فمـن بلاء المريـض رِفْـقُ الطـبيب بـه، وترك علاجه; خوفاً من تكديره وإزعاجه.

إن رفقَ الطبيبِ على هذا النحو خيانــة لِفنِّه، وقدح في أمانته، وزيـادة فـي البلاء على مريضه.

وما خير رفــقِ ســاعةٍ يتجـرع المريـض بسببه آلام السنين ?!

ثم إن الغالب على من يتكلمــون علـى الحب أنهـم يحصـرونه فـي زاويـة ضـيقة هـي أضـيق معـاني الحـب، ويغيـب عـن

بالهم مفهوم الحب الواسـع كمـا سـيأتي في الصفحات التالية.

فهذا مـا اسـتثار الهمـة، وأخـذ بـرأس القلم يجره إلى الكتابة فـي هـذا البـاب، والله المستعان، وعليه التكلان، وصـلى اللـه وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

محمد بن إبراهيم
الحمد
الزلفي
الرمز البريدي
11932 ص.ب:
460
www.toislam.net

تعريف العشق

قال ابن فارس× في مادة عشق: =العين، والشين، والقاف أصل صحيح يدل على تجاوز حدِّ المحبة.

تقول: عَشِقَ يَعْشَق، عِشْقاً وعَشَقاً+[1].

وقال ابن منظور×: =العشق فرط الحب، وقيل: هو عُجْبُ المحبِّ بالمحبوب يكون في عفاف الحبِّ، ودعارته، عَشِقه يَعْشَقه عِشْقاً، وعَشَقاً، وتعشَّقه.

وقيل: التَّعَشُّقُ تكلُّف العشق، وقيل: العِشْق الاسم، والعَشَق المصدر+[2].

وقال: =ورجل عاشق من قوم عُشَّاق، وعِشِّيق مثال فسِّيق كثير العِشق، وامرأة عاشق بغير هاء وعاشقة.

---

[1] () معجم مقاييس اللغة لابن فارس 4/321.

[2] () لسان العرب لابن منظور 10/251.

والعَشَـقُ، والعسـق بالشـين، والسـين المهملة: اللزوم للشيء لا يفارقه.

ولـذلك قيـل لِلْكَلِـف: عاشـق; للـزوم هواه+[1].

وقال: =وسئل أبـو العبـاس أحمـد بـن يحيى عن الحب والعشق أيهما أحمد?

فقال: الحبُّ; لأن العشق فيه إفــراط، وسمي العاشـق عاشـقاً لأنـه يـذبل مـن شــدة الهــوى كمــا تــذبل العَشَــقَةُ إذا قطعت.

والعَشَــقَةُ شـجرة تَخْضَـرُّ، ثـم تَـدِقُّ، وتَصْفَرُّ+[2].

وقال ابـن عبـد البر×: =سـئل بعـض الحكماء عن العشق، فقال: شـغل قلـب فارغ+[3].

---

[1] () لسان العرب 10/252.

[2] () لسان العرب 10/252.

[3] () بهجة المجالس لابن عبد البر 2/817.

وقــال أفلاطــون: =العشــق حركــة النفس الفارغة+[4].

وقال أرسطو: =العشق جهـل عـارض صادف قلباً خالياً لا شغل له مـن تجـارة، ولا صناعة+[2].

وقــال شــيخ الإســلام ابــن تيميــة×: =قيــل: العشــق هــو فســاد الإدراك، والتخيل، والمعرفة; فـإن العاشـق يُخَيَّـل له المعشوق على خلاف ما هـو بـه حـتى يصيبَه ما يصيبُه من داء العشق+[3].

---

[4]() روضة المحبين لابن القيم ص153.

[2]() روضة المحبين ص154.

[3]() جامع الرسائل لابن تيمية 2/243_ 244.

من أسماء العشق

هنـاك أسـماء عديـدة تـرادف العشـق، وتدل عليه، ويعبر بها عنه، وإن كان هناك فروق دقيقة يختـص بهـا كـل اسـم علـى حدة.

وقد ذكر ابن القيم× فـي كتـابه روضـة المحبين خمسين اسماً للعشق، وهي:

=المحبة، والعلاقة، والهوى، والصَّبْوة، والصـبابة، والشَّـغف، والمِقَـة، والوَجْـد، والكَلَـف، والتَّتَيُّـم، والعِشْـق، والجـوى، والـدَّنَف، والشَّـجو، والشَّـوق، والخلابـة، والبلابل، والتباريح، والسَّدم، والغَمـرات، والوَهَل، والشَّـجَن، واللاعـج، والاكتئـاب، والوصـب، والحُـزْن، والكَمَـد، واللَّـذْع، والحُـرَق، والسُّـهْد، والأرَق، واللَّهـف، والحنين، والاستكانة، والتَّبالـة، واللوعـة، والفُتـون، والجُنـون، واللَّمـم، والخَبـل، والرَّسـيس، والـداء المخـامر، والـود،

والخُلَّــة، والخِلْــم، والغــرام، والهُيــام، والتِّدْليه، والوَله، والتَّعَبُّد+[1].

ثم شـرع×فـي شـرح كـل اسـم علـى حدة[2].

ولمـا وصـل إلـى اسـم العشـق، قـال: =وأما العشـق فهـو أمـرٌ هـذه الأسـماء، وأخبثها، وقلَّما ولعت به العـرب، وكـأنهم ستروا اسمه وكَنَّـوا عنـه بهـذه الأسـماء، فلم يكادوا يفصـحون بـه، ولا تكـاد تجـده فـي شـعرهم القـديم، وإنمـا أولـع بـه المتـأخرون، ولـم يقـع هـذا اللفـظ فـي القـرآن، ولا فـي السـنة إلا فـي حـديث سويد بن سعيد[3]+[4].

أنواع العشق

[1]() روضة المحبين ص31.

[2]() انظر: روضة المحبين من ص32_62.

[3]() يقصد بحديث سويد بن سعيد الحديث الموضوع الذي نصه=من عشق، فعف، فكتم، فمات فهو شهيد = وسيأتي الكلام عليه_ إن شاء الله_.

[4]() روضة المحبين ص43.

العشــق يقــع بيــن طرفيــن: عاشــقٍ ومعشــوق، وقـد يكـون كـلٌّ واحـدٍ منهمـا عاشقاً لصاحبه، وقد يكـون العشــق مـن أحد الطرفين دون الآخر.

وأنواع العشق التي تقـع لا تكـاد تخـرج عن أربعة أنواع وهي:

1_عشق الرجال للنساء: وهذا هــو الأعم، والأغلب، وإذا ذكر العشق انصرف إلى هذا النوع.

2_عشــق النســاء للرجــال: وهــذا النــوع يقـع، ولكنــه دون الأول; إذ النسـاء وصفهن الحياء، والتخفُّر، والتمنُّع.

3_عشــق الرجــال للرجــال: وهــذا يقــع كــثيراً، ولكنــه شــذوذ، وانحــراف، وارتكاس، كحـال مـن يَتَعَشَّـق المـردان، ويتعلق بهم.

4_عشق النساء للنساء: وهــذا لــم يكـن يعـرف فـي السـابق إلا علـى وجـه الندرة النادرة، ولكنه شـاع، وانتشـر فـي

هذا العصر الذي فتحت فيه الأبواب على مصاريعها; فأصبحتَ تسمع أن هذه الفتاة تعلقت بزميلتها وعشقتها، وتلك أخرى قد هامت بمعلمتها وشغفت بها، وثالثة متيمة بتلميذتها مستهامة بها، وهكذا دواليك.

فتجد الواحدة تَكْلَف بمن تحبها غايةَ الكلَف، وتراعيها أشد المراعاة، وتتمنى الظفر منها بابتسامة، أو نظرة، أو محادثة.

وتجدها تؤمل بالحصول على هدية منها، أو تتمنى لو ظفرت بشيء من مقتنياتها، بل ربما تعمدت الجلوس في مكانها إذا قامت منه، وتسارع إلى المرور في الطريق الذي مرّت به.

والأخبار والوقائع في هذا الباب يطول ذكرها، ويصعب حصرها.

والحديث في هذا الكتاب يتناول هذه الأنواع كلها.

خطر العشق وضرره

العشق مسلك خطر، وموطئ زلق، غوائله لا تؤمن، وضحاياه لا تحصى، وأضراره لا يحاط بها.

وأهل العشق من أشقى الناس، وأذلّهم، وأشغلهم، وأبعدهم عن ربهم.

قال ابن تيمية×: =فإن الذي يورثه العشق من نقص العقل والعلم، وفساد الدين والخلق، والاشتغال عن مصالح الدين والدنيا أضعاف ما يتضمنه من جنس المحمود.

وأصدقُ شاهدٍ على ذلك ما يعرف من أحوال الأمم، وسماع أخبار الناس في ذلك; فهو يغني عن معاينة ذلك وتجربته، ومن جرب ذلك أو عاينه اعتبر بما فيه كفاية; فلم يوجد قط عشق إلا وضرره أعظم من منفعته+[1].

---

[1]() الاستقامة لابن تيمية 1/459.

وقال×: =وهؤلاء عشاق الصور من أعظم الناس عذاباً، وأقلهم ثواباً، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى; فدوام تعلق القلب بها أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب، ويزول أثره من قلبه.

وهؤلاء يُشَبَّهون بالسكارى والمجانين كما قيل:

سكْران: سُكْرُ ... ومتى إفاقةُ مَنْ
هـ ... بـ سكران

وقيل:

قالو: جننت ... العشق أعظم
العشق لا ... وإنما يصرع

وقال×متحدثاً عن حقيقة العشق:=قيل: العشق هو فساد الإدراك، والتخيل والمعرفة; فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به، حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق.

---

[1]() العبودية لابن تيمية 97_ 98.

ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة+[1].

وقال: =وقيل: إن العشق هو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب; فإذا أفرط فيه كان مذموماً فاسداً مفسداً للقلب والجسم+[2].

ولقد تظاهرت أقوال أهل العلم، والشعراء، والأدباء، ومَنْ وقعوا في العشق في بيان خطورته، وعظيم ضرره.

=قالوا: وإذا اقتحم العبد بحر العشق، ولعبت به أمواجه_فهو إلى الهلاك أدنى منه إلى السلامة+[3].

وقال بعض الحكماء: =الجنون فنون، والعشق من فنونه+[4].

---

[1] () جامع الرسائل لابن تيمية 2/243_ 244.
[2] () جامع الرسائل 2/242.
[3] () روضة المحبين ص196.
[4] () روضة المحبين ص197.

وقـالوا: وكـم مـن عاشـق أتلـف فـي معشوقه ماله، وعرضـه، ونفسـه، وضَـيَّع أهله، ومصالحَ دينِه ودنياه+[1].

وقـالوا: =والعشـق هـو الـداء الـدوي الـذي تـذوب معـه الأرواح، ولا يقـع مـع الارتياح، بل هو بحر من ركبه غرق; فـإنه لا ساحل له، ولا نجاة منه+[2].

* قال أحدهم:

العشـق مشـغلةٌ عن كل صالحة وسـكرةُ العشـق تنفي لذة الوسن[3]

* وقال أبو تمام:

أما الهوى فهو فيه النوى فأليم وذو الهوى فمتيم[4]

* وقال ابـن أبـي حصـينة مبينـاً ضـرر العشق، غابطاً مَنْ لم يقع في أشراكه:

والعشـق يجتـذب بـالطبع واحسـدي النفـوس الـى من لم يعشق[5]

* وقال عبد المحسن الصوري:

---

[1] () روضة المحبين ص197.
[2] () روضة المحبين ص197- 198.
[3] () روضة المحبين ص198.
[4] () روضة المحبين ص198.
[5] () روضة المحبين ص198.

مـــا الحـــب إلا عســـر النجـــاة

قالوا: =والعشق يترك الملك مملوكاً، والسلطان عبداً+[2].

إن اللـــه نجـــاني إليه ولم أقبل مقالـة عاذلي

وممن لي بمنجاةٍ رمتني دواء ي الحـبِّ

قالوا: =ورأينا الداخل فيه يتمنـى منـه الخلاص، ولات حين مناص+.

قـال الخرائطـي: أنشـدني أبـو جعفـر العبدي:

وقال منصور النمري:

وإن امـــــرءاً لعريـــان مـــن

---

[1] () روضة المحبين ص199.
[2] () روضة المحبين ص199.
[3] () روضة المحبين ص201
[4] () بهجة المجالس لابن عبد البر 3/816

قال ابـن القيـم×مبينـاً خطـر العشـق على الـدين: =ومحبـة الصـور المحرمـة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبـد أقـرب إلـى الشـرك، وأبعـد مـن الإخلاص كانت محبته بعشق الصور أشد.

وكلما كان أكثر إخلاصاً، وأشـدّ توحيـداً كان أبعد من عشق الصور.

ولهذا أصاب امـرأة العزيـز مـا أصـابها من العشق; لشركها، ونجـا منـه يوسـف الصديق _عليه السلام_ بإخلاصه.

قال_تعالى_: **[كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْـهُ السُّـوءَ وَالْفَحْشَـاءَ إِنَّـهُ مِـنْ عِبَادِنَـا الْمُخْلَصِينَ]** (يوسف: 24).

فالسـوء: العشـق، والفحشـاء: الزنـا; فالمخلص قـد خَلُـص حُبُّـه اللـه، فخلّصـه الله من فتنـة عشـق الصـور، والمشـرك قلبه متعلق بغير الله، فلم يخلص توحيده وحبه الله_عز وجل_+[1].

---

[1]() إغاثة اللهفان لابن القيم ص513

وقال× في موضع آخر: =وهذا داء أعيا الأطبـاء دواؤه، وعـزَّ عليهـم شـفاؤه، وهو_لعمـر اللـه_الـداء العضـال، والسـم القتال الذي ما علق بقلـب إلا وعـزَّ علـى الورى استنقاذه من إساره، ولا اشـتعلت ناره إلا وصعب على الخلق تخليصـه مـن ناره.

وهو أقسـام; تـارة يكـون كفـراً، كمـن اتخذ معشوقه ندَّاً يحبـه كمـا يحـب اللـه; فكيف إذا كانت محبته أعظـم مـن محبـة اللـه فـي قلبـه؟ فهـذا عشـق لا يغفـر لصاحبه; فإنه من أعظم الشرك، والله لا يغفر أن يشـرك بـه، وإنمـا يغفـر بالتوبـة الماحية ما دون ذلك.

وعلامـة العشـق الشـركي الكفـري أن يقدم رضا معشوقه علـى رضـا ربـه، وإذا تعارض عنده حقُّ معشوقه، وحظُّه، وحقُّ ربه وطاعتُه_قدَّم حقَّ معشوقه على حقِّ ربـه، وآثـر رضـاه علـى رضـاه، وبـذل لمعشـوقه أنفـس مـا يقـدر عليـه، وبـذل

لربـه_إن بـذل_أردأ مـا عنـده، واسـتفرغ وسـعه فـي مرضـاة معشـوقه وطـاعته والتقـــرب إليـــه، وجعـــل لربـــه_إن أطاعه_الفضْلَة التي تفْضُل عن معشوقه مـن سـاعاته; فتأمـل حـال أكـثر عشـاق الصـور تجـدها مطابقـة لـذلك، ثـم ضـع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمـانهم فـي كفة، ثـم زن وزنـاً يرضـي اللـه ورسـوله ويطابق العدل+[1].

وقـال×متحـدثاً عـن أضـرار العشـق: =قالوا: وكم أكبَّت فتنة العشـق رؤوسـاً علـى مناخرهـا فـي الجحيـم، وأسـلمتهم إلـى مقاسـاة العـذاب الأليـم، وجرعتهـم بيـن أطبـاق النـار كـؤوس الحميـم، وكـم أخرجت من شاء الله مـن العلـم والـدين كخروج الشعرة من العجين، وكم أزالـت من نعمة، وأحلّت من نقمة، وكـم أنزلـت مـن معْقـل عـزِّهِ عزيـزاً فـإذا هـو فـي الأذلين، ووضعت من شريف رفيع القـدر

---

[1]() الجواب الكافي لابن القيم ص490_ 491

والمنصب فإذا هـو فـي أسـفل سـافلين، وكـم كشـفت مـن عـورة، وأحـدثت مـن روعة، وأعقبت من ألم، وأحلّت من ندم، وكم أضرمت مـن نـار حسـرات أحرقـت فيها الأكباد، وأذهبت قدراً كان للعبد عنـد الله وفي قلوب العبـاد، وكـم جلبـت مـن جهد البلاء، ودرك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعـداء; فقـلَّ أن يفارقهـا زوال نعمة، أو فجاءة نقمة، أو تحويل عافية، أو طُروق بلية، أو حدوث رزية; فلـو سـألت النِّعم ما الـذي أزالـك؟ والنِّقـم مـا الـذي أدالــك؟ والهمــومَ والأحــزان مــا الــذي جلبك؟ والعافية ما الذي أبعـدك وجنَّبـك؟ والستر ما الذي كشفك؟ والوجه ما الذي أذهب نورك وكسفك؟ والحيـاة مـا الـذي كدَّرك؟ وشمس الإيمان ما الذي كـوَّرك؟ وعزة النفس مـا الـذي أذلّـك؟ وبـالهوان بعد الإكرام بدَّلك_لأجابتك بلسـان الحـال اعتباراً إن لم تجب بالمقال حواراً.

هذه_والله_بعض جنايات العشق على أصحابه لو كانوا يعقلون، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون+[1].

وقال× في موضع آخر متحدثاً عن مكايد الشيطان ومصايده: =ومن مكايده ومصايده ما فتن به عشاق الصور.

وتلك_لعمر الله_الفتنة الكبرى، والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خلاَّقها، وملكت القلوب لمن يسومها الهوان من عشاقها، وألقت الحرب بين العشق والتوحيد، ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد، فصيَّرت القلب للهوى أسيراً، وجعلته عليه حاكماً وأميراً، فأوسعت القلوب محنة، وملأتها فتنة، وحالت بينها وبين رشدها، وصرفتها عن طريق قصدها، ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأبخس الأثمان، وأعاضتها

---

[1]() روضة المحبين ص202

بـاخس الحظـوظ وأدنـى المطـالب عـن العالي في غرف الجنان، فضـلاً عمّـا هـو فــوق ذلــك مــن القــرب مــن الرحمــن; فسـكنت إلـى ذلـك المحبـوب الخسـيس الــذي أَلَمُهــا بــه أضــعاف لــذتها، ونيلُــه والوصول إليه أكبر أسباب مضرتها; فمــا أَوْشَكَهُ حبيباً يستحيل عـدواً عـن قريـب، ويتبرأ منه مُحِبُّه لو أمكنـه حـتى كـأن لـم يكن له حبيب، وإن تمتع به في هذه الدار فسوف يجد به أعظـم الألـم بعـد حيـن لا سيما إذا صار [**الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُــهُمْ لِبَعْــضٍ عَــدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِيــنَ**] إلـى أن قال×: =فيـا حسـرة المحـب الـذي بـاع نفسـه لغيـر الحـبيب الأول بثمـن بخـس، وشــهوة ذهبــت لــذتها، وبقيــت تبعتهــا، وانقضــت منفعتهــا، وبقيــت مضــرتها; فذهبت الشهوة، وبقيت الشقوة، وزالـت النشــوة، وبقيــت الحســرة; فوارحمتــاه لصبٍّ جُمـع لـه بيـن الحسـرتين: حسـرة فوت المحبوب الأعلـى والنعيـم المقيـم،

وحسـرة مـا يقاسـيه مـن النصـب فـي العذاب الأليم.

فهنــاك يعلــم المخــدوع أي بضــاعة أضاع، وأن مَنْ كان يملك رقه وقلبه لـم يكن يصلح أن يكون له من جملة الخـدم والأتباع; فأي مصيبة أعظـم مـن مصـيبة مَلِكٍ أُنزل عن سرير ملكه، وجُعـل لمـن لا يصلح أن يكـون مملـوكَه أسـيراً، وجُعـل تحت أوامره ونواهيه مقهـوراً؟ فلـو رأيتـه وهـو فـي يـد محبـوبه لرأيته:

كعصفورة فـي كـف طفل يسومها حيـاض الـردى والطفـل يلهو ويلعب

ولو شاهدت حاله وعيشه لقلت:

وما فـي الأرض أشـقى من محبٍّ وإن وجــد الهــوى حُلْــوَ المذاق

تراه باكياً في كل حين مخافةَ فرقةٍ أو لاشتياقِ

فيبكـي إن نـأوا شـوقاً اليهم ويبكــي إن دنــوا حــذرَ الفراق

ولو شاهدت نومه وراحتـه لعلمـت أن المحبة والمنام تعاهدا أنْ ليس يلتقيـان، ولو شاهدت فيض مدامعه، ولهيــب النــار فــي أحشائه لقلت:

سبحان ربِّ العرش مُتقن صُنْعه ومؤلِّفِ الأضداد دون تعاند
قطر تولد عن لهيب في الحشا ماء ونارٌ في محل واحد

ولو شاهدت مسلك الحبِّ في القلب، وتغلغله فيه_لعلمت أن الحب ألطف مسلكاً فيه من الأرواح في أبدانها.

فهل يليق بعاقل أن يبيع هذا الملك المطاع لمن يسومه سوء العذاب؟ ويوقع بينه وبين وليه ومولاه الحق الذي لا غناء له عنه، ولا بد له منه_أعظم الحجاب؟

فالمحب بمن أحبه قتيل، وهو له عبد خاضع ذليل، إن دعاه لَبَّاه، وإن قيل له: ما تتمنى؟ فهو غاية ما يتمناه، لا يأنس، ولا يسكن إلى سواه; فحقيق به ألا يُمَلِّك رقَّه إلا لأجلِّ حبيب، وألا يبيع نصيبه منه بأبخس نصيب+[1].

---

[1]() إغاثة اللهفان ص494، 496 وانظر: الجواب الكافي ص494_ 499

ومـــن الأضـــرار الناجمـــة عـــن العشق_الظلم; =فـإن الظلـم فـي هـذا الباب من أعظم أنواع الظلم، وربما كـان أعظم ضرراً على المعشـوق وأهلـه مـن ظلمـــه فـــي مـــاله; فـــإنه يعـــرض المعشوق_بهتكه في عشـقه_إلـى وقـوع النـاس فيـه، وانقسـامهم إلـى مصـدق ومكذب، وأكـثر النـاس يصـدق فـي هـذا الباب بأدنى شبهة، وإذا قيـل: فلان فعـل بفلان أو فلانـــة كـــذّبه واحـــد، وصـــدقه تسعمائة وتسعة وتسعون+[1].

ومن أنواع الظلم في هذا الباب_أيضـاً _: أن فـي إظهـار المبتلـى عشـقَ مَـنْ لا يحل له الاتصال بـه مِـنْ ظلمـه وأذاه_مـا هو عدوان عليـه، وعلـى أهلـه، وتعريضـه لتصديق كثيرٍ من الناس ظنونَهم فيه.

فإن استعآن عليـه بمـن يسـتميله إليـه إما برغبة أو رهبة تعدى الظلـم، وانتشـر، وصار ذلك الواسطة ديُّوثاً ظالماً، وكفـى

---

[1]() الجواب الكافي ص500.

بالدياثة إثماً، فيتساعد العاشـق والـديوث على ظلم المعشوق، وظلـم غيـره ممـن يتوقف حصـول غرضـه علـى ظلمـه فـي نفـس، أو مـال، أو عِـرْض; فكـثيراً مـا يتوقف المطلـوب فيـه علـى قتـل نفـس تكون حياتُها مانعةً من غرضـه، وكـم مـن قتيل أُهـدِرَ دَمُـهُ بهـذا السـبب مـن زوج، وسيد، وقريب، وكم أُفسِدَت امرأة علـى بعلها; فإذا كان للمعشـوق زوج تضـاعف الأذى وازداد; فظلم الزوج بإفساد حبيبه، والجناية على فراشـه أعظـم مـن ظلمـه بأخذ ماله كله; ولهـذا يـؤذيه ذلـك أعظـم مما يؤذيه أخذ مـاله، ولا يعـدل ذلـك عنـه حتى سفك دمه.

فإن كان ذلك حقَّاً لغازٍ في سـبيل اللـه وُقِـفَ لـه الجـاني الفاعـل يـوم القيامـة، وقيل له: **=خذ من حسناته+**.

كما أخـبر بـذلك رسـول اللـه_ثـم قـال رسول الله _**:=فما ظنكم?+**[1].

---

[1]() رواه مسلم (1897).

أي: فما تظنون يبقي له من حسناته؟

فإن انضاف إلى ذلك أن يكون المظلوم جاراً، أو ذا رحم محرَّم_تعدد الظلم، فصار ظلماً مؤكَّداً لقطيعة الرحم، وأذى الجار.

فإن استعان العاشق على وصال معشوقه بشياطين من الجن_إما بسحر، أو استخدام، أو نحو ذلك_ضَمَّ إلى الشركِ والظلم كُفْرَ السحر.

فإن لم يفعله هو، ورضي به_كان راضياً بالكفر، غير كاره لحصول مقصده به، وهذا ليس ببعيد عن الكفر.

والمقصود أن التعاون في هذا الباب تعاون على الإثم والعدوان.

وفي العشق من ظلم كل واحد من العاشق والمعشوق لصاحبه بمعاونته على الفاحشة، وظلمه لنفسه_ما فيه، وكل منهما ظالم لنفسه وصاحبه، وظلمهما مُتَعدٍّ إلى غيرهما كما تقدم.

ثم إن المعشوق قد يُعرِّض العاشق للتلف; حيث يطمعه في نفسه، ويتزين له، ويستميله بكل طريق; حتى يستخرج منه ماله، ونفعه.

والعاشق ربما قتل معشوقه; ليشفي نفسه منه، ولا سيما إذا جاد بالوصال لغيره.

فكم للعشق من قتيل من الجانبين، وكم أزال من نعمة، وأفقر من غنى، وأسقط من مرتبة، وشتَّت من شمل.

وكم أفسد من أهل للرجل وولده; فإن المرأة إذا رأت زوجها عاشقاً لغيرها_ربما قادها ذلك إلى اتخاذ معشوق لها; فيصير الرجل متردداً بين خراب بيته بالطلاق وبين أن يرضى بالدياثة والخنا في أهله[1].

يقول ابن حزم×: =وكم مصون الستر، مسبل القناع، مسدول الغطاء، قد كشف الحبُّ ستره، وأباح حريمه،

---

[1]() الجواب الكافي بتصرف ص500_.506

وأهمل حماه، فصار بعد الصيانة عَلَماً، وبعد السكون مثلاً+[1].

ومن الأضرار التي يجرها العشق فاحشتي الزنا إن كان المعشوق امرأة، واللواط إن كان المعشوق رجلاً; فالعشق سبيل إليهما، وكثيرًا ما يقترن بتلك الفاحشتين العظيمتين اللتين لا يخفى ضررهما على دين الإنسان، وعقله، وماله، وخلقه، وصحته.

قال ابن القيم×متحدثاً عن تلك الفاحشتين: =فليس في الذنوب أفسد للقلب، والدين من هاتين الفاحشتين، ولهما خاصِّيَّة في تبيعد القلب من الله; فإنهما من أعظم الخبائث; فإذا انصبغ القلب بهما بَعُد ممن هو طيب، لا يصعد إليه إلا طيب، وكلما ازداد خبثاً ازداد من الله بُعدًا+[2].

---

[1] () طوق الحمامة لابن حزم ص39.

[2] () إغاثة اللهفان ص71.

وقـــال×مبيِّنـــاً أضـــرار اللـــواط:
=فإنه يحدث الهم، والغـم، والنفـرة عـن الفاعل والمفعول.
وأيضـــاً فـــإنه يســـوِّد الـــوجه، ويظلـــم الصـــدر، ويطمـــس نـــور القلـــب، ويكســـو الـــوجه وحشـــة تصـــير عليـــه كالســـيماء يعرفها من له أدنى فراسة.
وأيضاً فإنه يوجب النفـرة، والتبـاغض الشديد، والتقاطع بين الفاعل والمفعـول ولا بد.
وأيضـــاً فـــإنه يفســـد حـــال الفاعـــل والمفعـــول فســـاداً لا يكـــاد يرجـــى بعـــده صلاح إلا أن يشاء الله بالتوبة النصوح.
وأيضاً فإنه يذهب بالمحاســن منهمــا، ويكسوهما ضـدهما كمـا يـذهب بـالمودة بينهما، ويبدلهما بها تباغضاً، وتلاعناً.
وأيضـــاً فـــإنه مـــن أكـــبر زوال النعـــم، وحلـــول النِّقَـــم; فـــإنه يـــوجب اللعـــن، والمقت من الله، وإعراضـه عـن فـاعله، وعدم نظره إليه; فـأيُّ خيـر يرجـوه بعـد

هذا؟ وأي شـرٍّ يـأمنه؟ وكيـف حيـاةُ عبـدٍ حلّت عليه لعنة الله، ومقته، وأعرض عنه بوجهه، ولم ينظر إليه.

وأيضـاً فـإنه يـذهب بالحيـاء جملـة، والحيـاء هـو حيـاة القلـوب; فـإذا فقـدها القلــب استحســن القبيــح، واســتقبح الحسن، وحينئذ فقد استحكم فساده.

وأيضًا فإنه يُحيـل الطبـاع عمَّـا ركَّبهـا الله، ويخرج الإنسان عن طبعه إلى طبـع لم يركِّب الله عليه شيئاً من الحيوان، بل هــو طبـع منكــوس، وإذا نكــس الطبـع انتكـــس القلـــب، والعمـــل، والهـــدى، فيسـتطيب حينئـذٍ الخـبيث مـن الأعمـال والهيئات، ويفسد حـاله، وعملـه، وكلامـه بغير اختياره.

وأيضـاً فــإنه يــورث مــن الوقاحــة، والجرأة ما لا يورثه سواه.

وأيضـاً فــإنه يــورث مــن المهانــة، والسِّفال، والحقارة ما لا يورثه غيره.

وأيضاً فإنه يكسو العبد من حلة المقت، والبغضاء وازدراء الناس، واحتقارهم إيّاه، واستصغارهم له_ما هو مشاهد بالحس+[1].

ولقد أثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن لهذه الفعلة أضراراً كثيرة على نفوس مرتكبيها، وعقولهم، وأبدانهم; فمما تسببه هذه الفعلة القبيحة كثرة الوساوس والأوهام، وربما أصيب صاحبه بمرض الهوس الجنسي الذي يجعل صاحبه الشهواني مشغولاً بتخيلات شهوانية غريزية.

ومن أضرارها التأثير على الأعصاب، والمخ، وأعضاء التناسل، والدوسنتاريا، والتهاب الكبد الفيروسي.

بل كثيراً ما يؤدي إلى أمراض الشذوذ الخطيرة كالزهرى، والسيلان، والهربس، والإيدز، بل هو على رأس الأسباب المؤدية لتلك الأمراض.

---

[1]() زاد المعاد لابن القيم 4/240_ 242.

وأكثر هذه الأضرار يشترك فيها الزنا مع اللوط.

ثم إن الزنا فساد كبير، وشر مستطير، وله آثاره الكبيرة، وتنجم عنه أضرار كثيرة، سواء على مرتكبيه، أو على الأمة بعامة; فالزنا يجمع خلال الشرِّ كلها من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، ووأد الفضيلة.

والزنا سبب للفقر، ولذهاب حرمة فاعله، وسقوطه من عين ربه، وأعين عباده.

والزنا يسلب صاحبه اسم البرِّ، والعفيف، والعدل، ويعطيه اسم الفاجر، والفاسق، والزاني، والخائن.

ومن أضرار الزنا الوحشة التي يضعها الله في قلب الزاني، وهي نظير الوحشة التي تعلو وجهه; فالعفيف على وجهه حلاوة، وفي قلبه أنْس، ومن جالسه استأنس به، والزاني بالعكس من ذلك تماماً.

ومــن أضــراره ضــيقة الصــدر، وحرجُــه; فــإن الزنــاة يعــاملون بضــد مقاصدهم، فإن مـن طلـب لـذة العيـش، وطيبه بمعصـية اللـه عـاقبه اللـه بنقيـض قصــده; فــإن مــا عنــد اللــه لا ينــال إلا بطاعته، ولم يجعل الله معصيته سببًا إلى خير قط.

ولو علم الفـاجر مـا فـي العفـاف مـن اللذة، والسرور، وانشراح الصدر، وطيب العيـش لـرأى أن الـذي فـاته مـن اللـذة أضعافُ أضعافِ ما حصل له.

والزنا يجرئ على قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلـم الخلق، وإضاعة المال، والأهل، والعيال.

والزنــا يــذهب بكرامــة الفتــاة، ويكسوها عاراً لا يقف عندها، بل يتعـداها إلـى أسـرتها; حيـث تـدخل العـار علـى أهلهـا، وزوجهـا، وأقاربهـا، وتنكّـس بـه رؤوسهم بين الخلائق.

وإذا حملت المـرأة مـن الزنـا، فقتلـت ولدها جمعت بين الزنا، والقتل.

وإذا حملتـه علـى الـزوج أدخلـت علـى أهلها، وأهله أجنبياً ليس منهـم، فـورثهم، ورآهم، وخلا بهـم، وانتسـب إليهـم، وهـو ليـس منهـم إلـى غيـر ذلـك مـن مفاسـد زناها.

والزنـا جنايـة علـى الولـد; فـإن الزانـي يبـذر نطفتـه علـى وجـه يجعـل النسمة المُخَلَّقة منهـا مقطوعـة النسـب إلى الآباء.

والنسب معدود مـن الروابـط الداعيـة إلى التعاون، والتعاضد; فكان الزنا سـبباً لوجود الولـد عاريـاً مـن العواطـف الـتي تربطه بأدنى قربـى يأخـذون بس اعده إذا زلت به نعله، ويتقوى بـه اعتصـابهم عنـد الحاجة إليه.

كـذلك فـي الزنـا جنايـة علـى الولـد، وتعريض به لأن يعيش وضيعاً بين الأمـة، مـدحوراً مـن كـل جـانب; فـإن النـاس

يستخفون بولـد الزنـا، وتنكـره طبـاعهم، ولا يرون له من الهيئة الإجتماعية اعتباراً; فمـا ذنـب هـذا المسـكين؟ وأي قلـب يحتمل أن يتسبب في هذا المصير؟

فهذا نزر يسـير مـن أضـرار الزنـا تلـك الجريمة التي يجر إليها العشق.

فكل هـذه الآفـات، وأضـعاف أضـعافها تنشـأ مـن عشـق الصـور، وتحمـل علـى الكفر الصريح; فقد تضمن العشق أنـواع الظلم كلها.

أسباب العشق

وبعد أن تبين خطر العشق، وعظيم جنايته، وكثرة الأضرار الناجمة عنه، والمظالم الحاصلة من جرائه، وقبل الدخول في الحديث عن وجوب التوبة منه، وذكر الأسباب المعينة على ذلك_لابدّ من الوقوف على الأسباب الحاملة على العشق، والمحركة له; ذلك أن العشق ينشأ، ويثور إذا وجدت محركاته ومهيجاته; فهناك أسباب تثير العشق، وتبعثه، بل وتسوق إليه سوقاً، وتجرّ إليه جراً.

وفيما يلي ذكر لبعض تلك الأسباب:

1_الإعراض عن الله_عز وجل_: ذلك أن في الله عوضاً عن كل شيء، وأن من عرف الله_عز وجل_جمع قلبه عليه، ولم يلتفت إلى محبوب سواه.

2_الجهل بأضرار العشق: وقد مـرَّ شـيء مـن أضـراره، ; فمـن لـم يعرفهـا أوشك أن يقع في ذلك الداء.

3_الفراغ: فهو مـن أعظـم الأسـباب الحاملة على العشق.

قال ابن عقيل×: =وما كان العشق إلا لأرعنَ بطال، وقلَّ أن يكون في مشـغول ولـو بصـناعة، أو تجـارة; فكيـف بعلـوم شرعية، أو حكمية?+[1].

وقال ابـن عبـد الـبر×: =سـئل بعـض الحكماء عن العشق فقال: =شُغل قلب فارغ+[2].

وقــال أفلاطــون: =العشــق حركــة النفس الفارغة+[3].

---

[1] () الآداب الشرعية لابن مفلح 3/.126

[2] () بهجة المجالس 2/.817

[3] () روضة المحبين ص.153

وقال أرسطو: =العشق جهل عارض، صادف قلباً خالياً لا شغل له من تجارة، ولا صناعة+[1].

وقال غيره: =هو سوء اختيار صادف نفساً فارغة+ [2].

ومن الفراغ_أيضاً_فراغ القلب من محبة الله_عز وجل_.

قال ابن القيم×:=وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله_تعالى_المعرضة عنه، والمتعوضة بغيره عنه; فإذا امتلأ القلب من محبة الله، والشوق إلى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور+[3].

وقال: =ومن أعظم الأشياء ضرراً على العبد بطالته، وفراغه; فإن النفس

---

[1] () روضة المحبين ص.153

[2] () روضة المحبين ص.153

[3] () زاد المعاد لابن القيم 4/.246

لا تقعـد فارغـة، بـل إن لـم يشـغلها بمـا ينفعها شغلته بما يضره ولا بد+[1].

4_وســائل الإعلام: ســواء كــانت مسموعة، أو مرئية، أو مقروءة; فوسائل الإعلام لهـا قـدرة كـبيرة علـى الإقنـاع، وصياغة الأفكار، ولها تأثير بالغ في قيـادة النــاس إلــى الهاويــة إذا هــي انحرفــت; فالصحافة تسهم فـي إذكـاء نـار العشـق من خلال ما تعرضه مـن الصـور الفاتنـة، ومن خلال احتفائها بأهـل العشـق، وتتبـع أخبارهم وشذوذاتهم.

وقل مثل ذلك في الكتب التي تتحــدث عن الجنس صـراحة، وتميـط اللثـام عـن الحياء، والدواوين الشعرية المليئة بشعر الغزل الفاضح الصريح.

وقل مثل ذلك في الكتـب أو المقـالات التي تنشـر ذكريـات أصـحابها، وسـيرهم الذاتية; حيث يـذكر بعضـهم بكـل وقاحـة مغــامراته العاطفيــة، ومراهقــاته مــع

---

[1]() طريق الهجرتين لابن القيم ص.488

معشـوقاته دونمـا حيـاء أو أنفـة، فيظـل يستره الله، ويأبى إلا كشف الستر، فـإذا كان ممن يشار إليهم بالبنان كان له تأثير لـــدى بعـــض الجهلـــة ممـــن يحـــاولون محاكاته، والسير على منواله.

وقل مثل ذلـك فـي الأجهـزة المرئيـة; فهي الترجمان الناطق عملياً لما تتضمنه القصص والروايات الفاجرة[1].

5_التقليد الأعمى: فمن الناس من يقرأ قصـص أهـل العشـق وأخبـارهم، أو يستمع إلى الأغاني المشتملة علـى ذكـر العشـــق والهيـــام، والصـــبابة، أو يقـــرأ القصـائد الـتي تنسـج علـى منـوال أهـل العشق.

---

[1]() انظر: الصحافة المسمومة لأنور الجندي ص76 ،وحصوننا مهددة من داخلها ص31_ 39 ،والأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفاز لمروان كجك ص191،وأربع مناقشات لإلغاء التلفزيون لجيري ماندرو، ترجمة سهيل منيمنة.

وربما رأى من حوله يبثُّون الشكاة واللوعة من العشق عبر الشعر أو الكتابة; فترى هذا الغِرَّ يتأثر بما يسمع، وما يرى حوله، فيبدأ بمحاكاة أهل العشق، فيزعم أنه قد وقع بما وقعوا فيه، وأن العشق قد أمَضَّه وأضناه، وربما عبر عن ذلك شعراً.

وما هي إلا مدة حتى يتمادى به الأمر، فيقع في العشق، فيعزّ خلاصه، ويصعب استنقاذه.

* ومما ينسب للمأمون قوله في هذا المعنى:

أول العشق مزاحٌ وولع ... ثم يزداد فيزداد الطمع

كل من يهوى وإن عالت به ... رتبة الملكِ لمن يهوى تضع[1]

* وقيل:

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقلّ به لم يُطِقْ

رأى لَجَّةً ظنها موجةً ... فلما تمكَّن منها غرق

ولما رأى أدمعاً تُستهلُّ ... وأبصر أحشاءه تحترق

---

[1] () أدب الدنيا والدين للماوردي ص.138

تمنى الإفاقة من سكره فلم يستطعها ولم يستفق[1]

6_الانحراف في مفهوم الحب والعشق: فمن أعظم أسباب العشق الانحراف في مفهومه; حيث يُظن أنْ لا عشق ولا حب إلا ذاك الذي يعمي صاحبه، ويجعله سادرًا في غيّه، لا يكاد يفيق من سكره.

فيرى أولئك أن الحب هو ذاك فحسب، وأن من وقع فيه نال فضيلة الحب من رقَّةٍ، وظرفٍ، ولطافة، وكرم، ونحو ذلك.

ومن لم يعشق، ويحبَّ ذلك الحبَّ فهو جامد الطبع، متبلد الإحساس، خالٍ من العواطف، متجردٌ من الفضائل، كما قال قائلهم:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فكن حجراً من جامد الصخر جلمدا[2]

* وكما قال الآخر:

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى فأنت وعَيْرٌ في الفلاة سواءُ[3]

---

[1] () ذم الهوى لابن الجوزي ص.440

[2] () الجواب الكافي ص509.

* وكما قال الآخر:

إذا أنت لـم تعشـق ولـم تدر ما الهوى فمالك في طيب الحيـاة نصيبُ[2]

ولا ريــب أن المتجــرد فــي عواطــف الحب بليد الطبع، قاسي القلـب، متجـرد من أسمى الفضائل.

ولكنَّ حصرَ الحبِّ والعشق فـي زوايـة حُـبِّ الصـور المحرمـة_جهـل وانحـراف; ذلـك أن مفهـوم الحـب أوسـع، ودائرتـه أعمّ، وصوره أشمل.

وما عشـق الصـور المحرمـة إلا زاويـة ضيقة من زوايا الحـب، بـل هـي أضـيقها، وأضرها; فلقـد غـاب عـن هـؤلاء أن هـذا العشـق نقطـة فـي بحـر الحـب، وغـاب عنهم حب الوالدين، وحـب الأولاد، وحـب المســاكين، وحــب الزوجــة، وحــب الفضــائل، والمكــارم، وحــب المعــالي والمــروءات، وحــب الطهــر، والعفــة، والشــجاعة، وحــب الصــداقة، وحــب

---

[3] () الجواب الكافي ص509.

[2] () الجواب الكافي ص.509

الطبيعة، وغاب عنهم حب اللذات العقلية وهي أرقى وأسمى وألذ من اللذات الجسدية، وألذها لذة العلم، وما يتفرع عنه.

ولهذا يجد أهل العلم من اللذة في العلم، ما لا يحاط به، أو يقدر على وصفه.

يقول الإمام الشافعي×مبينًا عظيم اغتباطه بالعلم، ولذته، وفرحه به:

سهري لتنقيح العلوم ألذُّ لي ... من وصْلِ غانيةٍ وطيب عناق

وصرير أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدوكاء[1] والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقريْ لألقيْ الرمل عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحل عويصة ... في الدرس أشهى من مدامة ساقي

وأبيت سهران الدُّجى وتبيته ... نوماً وتغي بعد ذاك لحاقي[2]

---

[1] () الدوكاء: الجماع.

[2] () ديوان الشافعي تحقيق د.محمد عبد المنعم خفاجي ص113_.114

بـل لقـد غـاب عنهـم أعظـم الحـب، وأشــرفه، وأنفعــه، وأجملــه، وأجلــه، وأكملــه، وأبهــاه، وهــو حــب اللــه_عــز وجل_فهو أصل المحـابِّ المحمـودة، بـل كل محبة محمودة إنما هي متفرعـة عـن ذلك.

قال ابـن القيـم×: =فالمحبـة النافعـة ثلاثة أنواع: محبة الله، ومحبـة فـي اللـه، ومحبـــة مـــا يعيـــن علـــى طاعـــة الله_تعالى_واجتناب معصيته.

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع: المحبة مع الله، ومحبة مـا يبغضـه اللـه، ومحبـة مـا تقطع محبته عن الله_تعـالى_أو تنقصـها; فهـذه سـتة أنـواع عليهـا مـدار محـاب الخلق.

فمحبة الله _عز وجل_ أصل المحـاب، وأصــل الإيمــان والتوحيــد، والنوعــان الآخران تبع لها.

والمحبــة مــع اللــه أصــل الشــرك، والمحابِّ المذمومـة، والنوعـان الآخـران تبع لها+[1].

وقال في موضع آخر متحدثاً عن فضل محبة الله_عز وجل_: =ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها الله _تعـالى_ وحـده، بحيـث يحـب اللـه بكـل قلبه، وروحه وجوارحه; فيوحِّـد محبـوبه، ويوحِّد حبه.

فتوحيد المحبوب أن لا يتعـدد محبـوبه، وتوحيد الحب ألا يبقى في قلبه بقيةُ حـبٍّ حتى يبذلها لـه; فهـذا الحـب_وإن سـمي عشقاً_فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيـم إلا بـأن يكــون اللــه ورســوله أحــب إليــه ممــا سواهما، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله; فلا يحب إلا الله+[2].

---

[1] () إغاثة اللهفان ص512_513.

[2] () روضة المحبين ص211.

ولهذا قال النبي_عليه الصلاة والسلام _: =ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار+[3].

قال ابن القيم×عن هذا الحديث: =فأخبر أن العبد لا يجد حلاوة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه، ومحبةُ رسوله هي من محبته، ومحبةُ المرء إن كانت الله فهي من محبة الله، وإن كانت لغير الله فهي مُنقصة لمحبة الله، مضعفة لها.

وتَصْدُق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد.

ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة; فإن الإنسان لا يُقَدِّم على محبة نفسه

---

[3]() رواه البخاري (16)، و (21)، و (6041)و (6941)، ومسلم (43).

وحياته شيئاً، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خيِّر بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحبَّ إليه من نفسه.

وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم، بل لا نظير لهذه المحبة، كما لا مثل لمن تعلق به، وهي محبةٌ تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد، وتقتضي كمال الذل، والخضوع، والتعظيم، والطاعة، والانقياد ظاهرًا وباطناً.

وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان+[1].

وقال×: =والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه، وذلك أنواع:

أحدها: محبة القرآن; بحيث يَعْنى بسماعه عن سماع غيره، ويهيم قلبه في

---

[1]() روضة المحبين ص.212

معانيه، ومرادِ المتكلم_سبحانه_منه.

وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه; فمن أحب محبوباً أحب كلامه+ [1].

وقال: =وكذلك محبة ذكره_سبحانه وتعالى_من علامة محبته; فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه، بل لا ينساه; فيحتاج إلى من يذكِّره.

وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه; فَعِشْقُ ذلك كله من أنفع العشق، وهو غاية سعادة العاشق.

وكذلك عشق العلم النافع، وعشق أوصاف الكمال من الجود، والعفة، والشجاعة، والصبر، ومكارم الأخلاق.

ولو صُوِّر العلم صورة لكان أجمل من صورة الشمس والقمر.

ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية، كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب

---

[1] () روضة المحبين ص.213

الأرواح العلويـــة الســـماوية الزكيـــة، لا الأرواح الأرضية الدنية.

فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد وقَدْرَه فـانظر إلـى محبـوبه ومـراده، واعلـم أن العشق المحمود لا يعرض فيه شيء مــن الآفات المذكورة+[1].

وصدق من قال:

ونفاسة الأَشياء فـي غاياتها ... فاحمـــد رمـــاءك إن أصـــبت نفيســـا[2]

7_الاغترار ببعض الأقــوال الــتي تبيح العشق: فبعض الناس قد يستهين بشـأن العشـق، بحجـة إبـاحته، وترخُّـص بعض العلماء بذكر أقوال العشاق، وذكــر قصصـهم وأخبـارهم، أو بحجـة أن بعـض أهل الفضل قد وقع في أشراك العشــق، أو بحجة أن للعشق بعضَ الفضائل; حيث ذَكَـرَ بعضُـهم أنـه يزيـد فـي رقـة الطبـع، وترويــح النفــس، وخفتهــا، ورياضــتها،

---

[1] () روضة المحبين ص.213

[2] () خواطر الحياة للشيخ محمد الخضر حسين ص.139

وحَمْلِها على مكارم الأخلاق من نحو الشجاعة، والكرم، والمروءة، ورقة الحاشية، وغير ذلك مما ذكر[1].

ومن ثم يقع في العشق من يقع، ثم يلاقي ويلاته ومراراته.

والجواب عما مضى: أن تلك الإيراداتِ والأقوالَ لا تقوم بها حجة; فالقول بإباحته، ونَقْلُ ذلك عن السلف قول غير مقبول; لأن الناقلين ذلك عنهم اتكأوا على نقولٍ لا تصح، أو نقولٍ لا تدل على ما ذهبوا إليه.

قال ابن القيم× في شأن تلك النقول: =وشبههم التي ذكروها دائرة بين ثلاث أقسام:

أحدها: نقول صحيحة لا حجة لكم فيها.

والثاني: نقول كاذبة عمن نسبت إليه من وضع الفساق الفجار كما سنبينه.

---

[1] () انظر: الجواب الكافي ص.705

والثـالث: نقـول مجملـة محتملـة لخلاف ما ذهبوا إليه+[1].

ثم شرع×في تفصيل ذلك.

* وقد سئل أبو الخطـاب محفـوظ بـن أحمـد الكلـوذاني×مسـألة عـن العشـق، وحُكْم مواصلة العاشق للمعشوق، وكان السؤال شعرًا مكتوباً في رقعـة، فأجـابه أبو الخطاب قائلاً:

يا أيها الشيخ الأديب الذي قد فاق أهـل العصر في شعره

ثم قال:

من فـارق الفتنـة ثـم ادعى الـ ـعصمة قد نـافق فـي أمره

ولا يجيـــز الشـــرع أسباب ما يـورِّط المسـلم فـي حظره

فانج ودع عنك صداع الهوى عساك أن تسـلم مـن شره

هذا جواب الكلوذاني قد جاءك يرجو اللـه فـي أجـ[2]ـره

* وسئل ابن الجوزي×بأبيات عن جواز العشق مطلعها:

---

[1] () روضة المحبين ص.139

[2] () روضة المحبين ص151.

يـا أيهـا العـالم مـاذا ترى ... في عاشق ذاب مـن الوجد

فأجابه ابن الجوزي قائلاً

يـاذا الـذي ذاب مـن الوجد ... وظلَّ في ضـر وفـي جهد

اسمه فدتك النفـس بنصـحه يهـدي إلـى الرشد ... من ناصح

إلى أن قال:

وكـــل مـــا تـــذكر مستفتياً ... حرمـــه اللـــه علـــى العبد

إلا ما حلَّله ربنا ... في الشـرع بـالإبرام والعقد

فعـــد مـــن طـــرق الهوى معترضاً ... وقـف بـباب الواحـد الفرد

وســله يشــفيك ولا يتلو ... قلبـــك بالتعـــذيب والصد

وعَـفَّ فـي العشـق ولا تُبْدِ ... واصـبر وكـاتم غايـة الجهد

فـإن تمـت محتسـباً صابراً ... تفـز غـدا فـي جنـة الخلـد[1]

وأمـا مـن احتـج علـى جـواز العشـق بـترخص بعـض العلمـاء بـذكر أقـوال العشاق، وذكر قصصهم وأخبارهم_فيقال لـه: إنمـا كـان ذلـك منهـم مـن بـاب

---

[1]() روضة المحبين ص151_.152

الاستشهاد، وتصوير الحال، ثم بعد ذلك يوقفون القارئ على الحكم في هذه المسألة، كما في صنيع ابن الجوزي في كتابه (ذم الهوى) وابن القيم في (الجواب الكافي)، و (روضة المحبين) وغيرها من كتبه.

بل إن ابن حزم× لما ألف كتابه (طوق الحمامة في الألفة والأُلاَّف) وذكر فيه طرائق أهل العشق قال في آخره: =وأنا أستغفر الله_تعالى_مما يكتب الملكان، ويحصيه الرقيبان من هذا وشبهه_استغفارَ مَنْ يعلم أن كلامه من عمله.

ولكنه إن لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء فهو_إن شاء الله_من اللمم المعفو+[1].

* وقال× على سبيل الوعظ:

رأيت الهوى سهل المبادي لذيذها ... وعقباه مرّ الطعم ضَنْكُ المسالك

---

[1]() طوق الحمامة ص.141

ومن عرف الرحمن لم يعص أمرَه ولو أنـه يعطـى جميـع الممالـــــــــــك[1]

وأمـا مـن ابتلـي بالعشـق مـن أهـل الفضـل فغايـة أمـره أن يكـون ذلـك مـن سـعيه المعفـو المغفـور، لا مـن سـعيه المبرور المشكور.

وإن كان لم يكتم في عشقه كان ذلـك منقصة في حقـه; إذ أعـان بـذلك علـى أن يتسلط الناس على عرضه، ويشمتون به[2].

وليس في ذلـك حجـة لمـن أراد أن أن يقتـدي بـه، وإن كـان لأحـد رغبـة فـي الاقتـداء بـذلك الفاضـل فليكـن فـي أي جانب من جوانب فضـله، لا فـي الجـانب الذي يعد زراية به.

وأما القـول بـأن للعشـق فضـائل كمـا ذكر قبل قليل فيقال: بأن هـذه الفضـائل تحصل في العشق بمفهومه الشامل كما ذكر في فقرة سابقة.

---

[1] () طوق الحمامة ص.152

[2] () انظر: روضة المحبين ص.147

ولـو فـرض أن هـذه المنـافع تحصـل بالعشق المعهود لما أرْبَتْ على مفاسـده ومضـاره، ومـا كـان ضـرره أكـثر مـن نفعه_فالمتعين تحريمه، وتركـه، وتجنـب السبل المفضية إليه.

وقد يستدل بعضهم على جواز العشـق وإباحته بحديث: **=من عشـق، فعـف، وكتـم، وصـبر، ثـم مـات كـان شهيداً+.**

وهذا الحديث باطل موضـوع كمـا بيَّـن ذلك العلماء[1].

---

[1]() الحديث أخرجه ابن حبان في المجروحين 1/،349 والخطيب البغدادي في تاريخه 5/، 156 ،262 6/50_51.

قال ابن القيم في الجواب الكافي ص 559:=وأما حديث من عشق فعف+. فهذا يرويه سويد بن سعيد، وقد أنكره حفاظ الإسلام عليه=.

وقال في ص562: =وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان، وإليهم يرجع في هذا الشأن، وما صححه، بل ولا حسنَّه أحدٌ

8_التهتــك والتــبرج والســفور: فذلك من أعظم محركات العشــق; فهــو ســبب للنظــرات الغــادرة، الــتي تعمــل عملها في القلب.

9_إطلاق البصر: فبداية العشق في الأغلب تكون عند النظر إلــى المحاســن;

يُعَوَّلُ في علم الحديث عليه، ويرجع في التصحيح إليه، ولا مَنْ عادتُه التساهل والتسامح+.

= وقال في زاد المعاد 4/252_ 256: =ولا يغتر بالحديث الموضوع على رسول الله"الذي رواه سويد بن سعيد، فذكر حديث: =من عشق فعف فمات فهو شهيد+.

وقال: =فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله"ولا يجوز أن يكون من كلامه; فإن الشهادة درجة عالية عند الله، مقرونة بدرجة الصديقية، ولها أعمال وأحوال هي من شرط حصولها، وهي نوعان: عامة، وخاصة; فالخاصة الشهادة في سبيل الله، والعامة مذكورة في الصحيح ليس العشق واحدًا منها.

وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة، وفراغ في القلب عن الله، وتمليك

فــالعين مــرآة القلــب، وإطلاق البصــر يـورث المعـاطب; فـإذا أطلـق الإنسـان بصره أطلق القلب شهوته، ومــن أطلــق بصره دامت حسرته; فأضر شــيء علــى القلب إرسال البصر; فإنه يريه مـا يشـتد

القلب والروح والحب لغيره تنال به درجة الشهادة? هذا من المحال; فإن إفساد عشق الصور للقلب فوق كل إفساد، بل هو خمر الروح الذي يسكرها، ويصدها عن ذكر الله وحبه، والتلذذ بمناجاته، والأنس به، ويوجب عبودية القلب لغيره; فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه، بل العشق لب العبودية; فإنها كمال الذل، والحب، والخضوع، والتعظيم; فكيف يكون تعبُّد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وسادتهم وخواص الأولياء; فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً، ولا يحفظ عن رسول الله لفظ العشق في حديث البتة+.

= إلى أن قال: =فكيف يُظن بالنبي أنه يحكم على كل عاشق يكتم، ويعف بأنه شهيد، فترى من يعشق امرأة غيره، أو يعشق المردان

طلبه له، ولا صبر له عنه، ولا سبيل إلى الوصول إليه، وذلك غاية ألمه، وعذابه.

ثم إن النظرة سهم مسموم من سهام إبليس_كما جاء في الحديث_وشأن السهم أن يسري في القلب، فيعمل فيه عمل السم الذي يسقاه المسموم، فإن بادر، واستفرغه، وإلا قتله ولابد.

وكذلك النظرة فإنها تفعل في القلب ما يفعله السهم في الرمية; فإن لم تقتله جرحته.

والنظرة بمنزلة الشرارة التي ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل:

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء؟ وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه بالضرورة كيف والعشق مرض من الأمراض التي جعل الله_ سبحانه_ لها الأدوية شرعاً وقدراً، والتداوي منه إما واجب إن كان عشقاً حرامًا، وإما مستحب+

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

والناظر يرمي من نظره بسهام غَرضُها قلبه وهو لا يشعر، قال الفرزدق:

تزود منها نظرة لم تدع له ... قؤاد ولم يشعر بما قد تزوَّدا

فلم أرَ مقتولاً ولم أرَ قاتلاً بغير سلاح مثلها حين أقْصَدا

* وقال آخر:

ومن كان يؤتى من عدوَ وحاسد ... فإني من عيني أتيتُ ومن قلبي
هما اعتوراني نظرة ثم فكرة ... فما أبقيا لي من رقادٍ ولا لُبِّ

* وقال المتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفُه ... فَمَنِ المطالَبُ والقتيلُ القاتلُ[1]

قال ابن القيم×: =ولما كان النظر أقرب الوسائل إلى المحرم اقتضت

---

[1]() انظر: روضة المحبين ص113_121.

الشـريعة تحريمـه، وأبـاحته فـي موضـع الحاجة.

وهــذا شــأن كــل مــا حُــرِّم تحريــم الوسائل; فإنه يباح للمصلحة الراجحــة+[1].

قـال جريـر بـن عبـد اللـه_رضـي اللـه عنهما_: =سألت رسول اللـه"عـن نظـر الفجأة فأمرني أن أصرف بصري+[2].

قال ابن القيم×: =ونظر الفجـأة هـي النظرة الأولى التي تقع بغيـر قصـد; فمـا لم يتَعَمَّـده القلـب لا يعـاقَب عليـه; فـإذا نظر الثانية تَعَمُّداً أثم; فأمره النبي"عنــد نظــر الفجــأة أن يصــرف بصــره، ولا يستديم النظر; فإن استدامته كتكريره+[3].

---

[1] ()روضة المحبين ص112.

[2] () أخرجه أحمد 4/358_ ،361 وأبو داود (2148)، والترمذي (2776) وقال: =حسن صحيح+.

[3] () روضة المحبين ص113.

10_المعاكسات الهاتفية: فهي من أعظم ما يجر إلى العشق; فقد تكون الفتاة حَصَانًا رزاناً لا تُزْنُّ بريبة، ولا تحوم حولها شبهة، وهي من بيت طهر وفضيلة، قد جلله العفاف، وأُسْدِل عليه الستر.

فما هي إلا أن تتساهل في شأن الهاتف، وتسترسل في محادثة العابثين حتى تقع فيما لا تحمد عقباه، فربما وافقت صفيقاً يغْتَرُّها بمعسول الكلام، فَتَعْلَقُه، وتقع في أشراكه; ولا يخفى أن الأذن تعشق قبل العين أحياناً.

وربما زاد الأمر عن ذلك، فاستجر الفتاة حتى إذا وافق غرتها مكر بها، وتركها بعد أن يلبسها عارها.

وربما كانت المبادرة من بعض الفتيات; حيث تمسك بسماعة الهاتف، وتتصل بأحد من الناس إما أن يكون مقصوداً بعينه، وإما أن يكون الاتصال

خبط عشواء; فتبدأ بالخضوع له بـالقول، وإيقاعه في حبائلها.

والحامل على المعاكسات في الغـالب تساهل كثير من الناس في شأن الهاتف، أو الجهـل بعـواقب المعاكسـات، أو مـن باب التقليد الأعمى، أو حـب الاسـتطلاع، أو غيـر ذلـك مـن الأمـور الـتي يجمعهـا الجهل، وعدم النظر في العـواقب، وقلـة المراقبة الله_تعالى _.

والحديث عن المعاكسات الهاتفية ومـا تجرّه من فساد يطول ذِكْرُه، وليـس هـذا مجال بسطه.

والمقصـود مـن ذلـك الإشـارة إلـى أن المعاكسات الهاتفية من أعظم الأسـباب التي تقود إلى العشق والتعلق; فسَدُّ هذا الباب واجب متعين.

هذه_على سبيل الإجمال_هي الأسباب الحاملة على العشق.

كيفية التوبة من العشق

وبعد أن تبيَّن فيما مضى خطورة العشق، وعظيم جنايته_نصل إلى بيت القصيد في هذه المسألة، ألا وهي التوبة من العشق، وكيفية ذلك.

فعلى من وقع في العشق أن يتوب إلى الله_عز وجل_سواء كان عاشقاً، أو معشوقاً، أو معيناً على ذلك.

فتوبة العاشق تكون بترك العشق، والعزم والمجاهدة على ذلك، وبألا يُظْهر أمرَه، ولا من ابتلي بعشقه; فلا يذكره، ولا يشبِّبُ به، ولا يسير إليه، ولا يمد طرفه إليه، وأن يقطع الصلاتِ المُذَكِّرةَ به، وأن يأخذ بالأسباب المعينة على ذلك، وأن يصبر على ما يلاقيه خصوصاً في بداية أمره.

وعلى المعشوق أن يتوب إلى الله إن كان مشاركاً، أو متسبباً في غواية العاشق; فيتوب إلى الله من استمالة

العاشــق، والــتزين لــه، والتحبــب إليــه، واللقاء به، ومحادثته، ومراسلته.

وعلى من أعان على العشق بـالتقريب بين العاشقين بالباطل أن يتوب إلى الله، وأن يدَعَ ما كـان يقـوم بـه، وأن يعلـم أن ذلـك مـن الإعانـة علـى الإثـم والعـدوان، وأنــه بــذلك يــذكي أوار العشــق، ويســعر نيرانه; فهو يفسد أكثر مما يصلح، وسعيه مـأزور غيـر مشـكور; فعملـه ليـس مـن عمــل الخيــر، ولا مــن ارتكــاب أخــف الضررين; لدفع أعلاهما.

بـل إن هـذه المفسـدة تجـر إلـى هلاك القلب، وفساد الدين، وأي مفسدة أعظم من هذه ? وغايـة مـا يقـدَّر مـن مفسـدة الإمساك عـن مواصـلة المعشـوق سـقم الجسـد أو المـوت; تفاديـاً عـن التعـرض للمحرم[1].

وإلا فالغـالب أن العاقبــة تكــون نجــاة وسلامة.

---

[1]() روضة المحبين ص148_.150

الأسباب المعينة على التخلص من العشق

فمع عظم شأن العشق، وصعوبة الخلاص منه إلا أن ذلك ليس متعذراً ولا مستحيلاً; فلكل داء دواء، ولكن الدواء لا ينفع إلا إذا صادف مَحَلاً قابلاً; فإذا رام المبتلى بهذا الداءِ الشفاءَ، وسعى إليه سعيه_وفق لما يريد، وأعين على بلوغ المقصود، وإلا استمر على بلائه، بل ربما زاد شقاؤه.

يقول ابن الجوزي×: =إنما يوصف الدواء لمن يقبل; فأما المخلِّط فإن الدواء يضيع عنده+[1].

وفيما يلي ذكر لبعض الأسباب المعينة على ترك العشق[2]:

---

[1] () ذم الهوى ص.443

[2] () الكلام في هذا أكثره مستفاد من ذم الهوى ص440_ 497،والجواب الكافي ص493_ 499 و 506_ 507،وانظر: التوبة وظيفة العمر للكاتب ص173_184.

1_الإخلاص اللـــه_عـــز وجـــل _:

فــالإخلاص أنفــع الأدويــة، فــإذا أخلــص المبتلى بداء العشق، وصدق فــي تــوجهه إلى ربــه_أعـانه اللــه، وأمـده بألطـاف لا تخطر له ببال، وصرف عنه كلَّ ما يصــده عن توبته.

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة×: =فـإن القلـــب إذا ذاق طعـــم عبـــادة اللـــه والإخلاص له لـم يكن عنـده شـيء قـطُّ أحلــى مــن ذلــك، ولا ألــذ، ولا أمتــع، ولا أطيب.

والإنسان لا يـترك محبوبـاً إلا بمحبـوب آخــر يكــون أحــبَّ إليــه، أو خوفــاً مــن مكـروه; فـالحب الفاسـد إنمـا ينصـرف القلـب عنـه بـالحب الصـالح، أو بـالخوف من الضرر.

قــال اللــه_تعـالى_فــي حــق يوسـف: **[وَلَقَدْ هَمَّـتْ بِـهِ وَهَـمَّ بِهَـا لَـوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْــهُ**

السُّـوءَ وَالْفَحْشَـاءَ إِنَّـهُ مِـنْ عِبَادِنَـا الْمُخْلَصِينَ] (يوسف: 24).

فالله يصرف عن عبده ما يسـوؤه مـن الميل إلى الصور، والتعلق بهـا، ويصـرف عنه الفحشاء بإخلاصه الله.

ولهــذا يكــون قبــل أن يــذوق حلاوة العبودية الله، والإخلاص لـه بحيـث تغلبـه نفسه على اتبـاع هواهـا; فـإذا ذاق طعـم الإخلاص، وقوي في قلبه انقهر بلا علاج+[1].

وقـال: =وإذا كـان العبـد مخلصًـا للـه اجتبـاه ربـه، فأحيـا قلبـه، واجتـذبه إليـه، فينصرف عنه ما يضـاد ذلـك مـن السـوء والفحشاء، ويخاف من ضد ذلك.

بخلاف القلـب الـذي لـم يخلـص اللـه; فـإن فيــه طلبـاً، وإرادة، وحبَّـاً مطلقـاً، فيهـوى كـل مـا يسـنح لـه، ويتشـبث بمـا

---

[1] () العبودية ص.99

يهواه كالغصن أي نسيم مرَّ به عطفه وأماله+[1].

وقال ابن القيم×: =ففي القلب شعثٌ لا يَلُمُّهُ إلا الإقبال على الله، وفيه وحشةٌ لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حزنٌ لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه قلقٌ لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه، وفيه نيرانُ حسرات لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه، وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شديد لا يقف دون أن يكون هو وحده مطلوبه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه، ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تُسَدَّ تلك الفاقة منه أبداً+[2].

2_الدعاء: والتضرع إلى الله_عز وجل_وصدق اللجأ إليه، والإخلاص له،

---

[1] () العبودية ص140_141.

[2] () مدارج السالكين 3/.156

وسؤاله السلوَّ; فإن المبتلى بهذا الداء مضطر، والله يجيب المضطر إذا دعاه، والدعاء عدو البلاء، يدافعه، ويعالجه، ويمنع نزوله، ويرفعه، أو يخففه إذا نزل.

3_غض البصر: فغض البصر يورث الراحة، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، قال_تعالى_:[**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**])النور: 30(.

قال ابن تيمية×: =فجعل_سبحانه_غض البصر وحفظ الفرج هو أقوى تزكية للنفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش، والظلم، والشرك، والكذب وغير ذلك[1].

وقال ابن الجوزي×: =والواجب على من وقع بصره على مُسْتَحْسَن، فوجد لذة تلك النظرة في قلبه أن يصرف

---

[1]() العبودية ص100_101.

بصره; فمتى ما تَثَبَّت في تلك النظرة، أو عاود وقع في اللوم شرعاً وعقلاً.

فإن قيل: فإن وقع العشق بأول نظـرة فأي لوم على الناظر؟

فالجواب: أنه إذا كـانت النظـرة لمحـة لم تكد توجب عشـقاً، إنمـا يـوجبه جمـود العين على المنظور بقدر مـا تثبـت فيـه، وذلـك ممنـوع منـه، ولـو قـدَّرنا وجـوده باللمحــة; فــأثَّر محبــةً سَــهُلَ قمــعُ مــا حصل+[1].

إلـى أن قـال: =فـإن قيـل: فمـا علاج العشق إذا وقع بأول لمحة؟

قيل: علاجه الإعراض عن النظر; فــإن النظر مثل الحبة تلقى فـي الأرض; فـإذا لم يلتفت إليها يبست، وإن سقيت نبتـت; فكذلك النظرة إذا ألحقت بمثلها+[2].

وقال: =فإن جرى تفريط بإتْباع نظـرة لنظرة فإن الثانية هي التي تخاف وتُحذر;

---

[1] () ذم الهوى ص.439

[2] () ذم الهوى ص440.

فلا ينبغي أن تحقر هذه النظرة; فربما أورثت صبابةً صبَّت دَمَ الصبِّ+[1].

وقال ابن القيم×: =فعلى العاقل ألا يحكِّم على نفسه عشق الصور; لئلا يؤدِّيه ذلك إلى هذه المفاسد، أو أكثرها، أو بعضها; فمن فعل ذلك فهو المفرط بنفسه، المغرور بها; فإذا هلكت فهو الذي أهلكها; فلولا تكراره النظر إلى وجه معشوقه، وطمعه في وصاله_لم يتمكن عشقُه من قلبه+[2].

وقد يقول بعض الناس: إذا نظرت نظرةً، فاشتد تعلقي بمن نظرت إليه; فهل لي أن أكرر النظر; لعلي أراه دون ما في نفسي; فأَسْلُوَ عنه?

والجواب: أن ذلك من تلبيس الشيطان، ولا يجوز هذا الصنيع; لعشرة أوجه[3]:

---

[1] () ذم الهوى ص440.

[2] () الجواب الكافي506.

[3] ()انظر: روضة المحبين ص110_112.

أحدها: أن اللـه_سـبحانه_أمـر بغـض البصـر، ولـم يجعـل شـفاء القلـب فيمـا حرمه على العبد.

الثـاني: أن النـبي" سُـئِل عـن نظـر الفجأة، وقد علـم أنـه يـؤثر فـي القلـب; فأمر بمـداواته بصـرف البصـر، لا بتكـرار النظر.

الثـالث: أنـه صـرح بـأن الأولـى لـه، وليست له الثانية، ومحالٌ أن يكــون داؤه مما له، ودواؤه فيما ليس له.

الرابع: أن الظـاهر أن الأمـر كمـا رآه أول مرة; فلا تحسن المخاطرة بالإعادة.

الخامس: أنه ربمـا رأى مـا هـو فـوق الذي في نفسه; فزاد عذابه.

الســادس: أن إبليــس عنــد قصــده للنظرة الثانية يقوم في ركائبه، فَيُزَيِّنُ له ما ليس بحسن; لِتتمَّ البلية.

السابع: أنه لا يعان علـى مطلـوبه إذا أعرض عن امتثال أمـر الشـرع، وتـداوى

بما حرَّمه عليه، بل هـو جـدير أن تتخلـف عنه المعونة.

الثــامن: أن النظــرة الأولــى ســهمٌ مسموم مـن سـهام إبليـس، ومعلـوم أن الثانيــة أشــدُّ سُــمَّاً; فكيـف يتـداوى مــن السم بالسم?!

التاسع: أن صاحب هـذا المقـام فـي مقام معاملة الحق_عـز وجـل_فـي تـرك محبـوب_كمـا زعـم_وهـو يريـد بـالنظرة الثانية أن يتبين حال المنظـور إليـه; فـإن لم يكن مَرْضِيَّاً تركه; فإذاً يكون تَرَكَه; لأنه لا يلائم غرضه، لا اللــه_تعـالى_فـأين معاملـة اللــه_سـبحانه_بـترك المحبـوب لأجله?!

العاشر: يتـبين بضـرب مثـلٍ مطـابقٍ للحال، وهو أنك إذا ركبت فرسـاً جديـداً، فمـالت بـك إلـى درب ضـيِّق لا ينفـذ، ولا يمكنهـا أن تسـتدير فيـه للخـروج; فـإذا همَّت بالدخول فيـه فاكبحهـا; لئلا تـدخل; فإذا دخلت خطوة أو خطـوتين فَصِـحْ بهـا

وردّها إلى وراءٍ عاجلاً قبل أن يتمكن دخولها، فإذا رددتها إلى ورائها سَهُل الأمر، وإذا توانيت حتى ولَجَتْ، وسقتها داخلاً ثم قمت تجذبها بذنبها عسُر عليك أو تعذر خروجها; فهل يقول عاقل: إن طريق تخليصها سوقُها إلى داخل?!

فكذلك النظرة إذا أثَّرت في القلب; فإن عجَّل الحازم، وحسم المادة من أولها سَهُل علاجُه، وإن كرَّر النظر، ونقَّب عن محاسن الصور، ونقلها إلى قلب فارغ، فنقشها فيه_تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة; فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب، ويُعرض عن الفكر فيما أمر به; فيخرج بصاحبه إلى المحن، ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن، ويلقي القلب في التلف.

والسبب في هذا أن الناظر الْتَذَّتْ عينه بأول نظرة; فطلبت المعاودة، ولو أنه غض أولاً لاستراح قلبه، وسلم.

* **هـذا وإن لغـض البصـر فوائـدَ عظيمةً منها:**

الفائدة الأولى: تخليص القلـب مـن ألم الحسرة.

الفائدة الثانيـة: أنـه يـورث القلـب نـوراً، وإشـراقاً يظهـر فـي العيـن، وفـي الوجه، وفي الجوارح.

الفائـدة الثالثـة: أنـه يـورث صـحة الفراسة; فإنها مـن النـور وثمراتـه، وإذا اسـتنار القلـب صـحت الفراسـة; لأنـه يصير بمنزلة المرآة المجلُوَّة تظهر فيهـا المعلومـات كمـا هـي، والنظـر بمنزلـة التنفس فيهـا; فـإذا أطلـق العبـد نظـره تنفست نفسه الصعداء في مـرآة قلبـه، فطمست نورها، كما قيل:

مـرآة قلبـك لا تريـد صلاحه والنفس فيهـا دائمـاً تتنفَّس

والله_سبحانه وتعـالى_يجـازي العبـد على عمله بما هو من جنسه; فمن غـضَّ بصـره عـن المحـارم عوَّضـه اللـه إطلاق بصيرته; فلما حبس بصره الله أطلق نور

بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنه يفتح له طرق العلم، وأبوابه، ويسهل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب; فإنه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة، ونفذ من بعضها إلى بعض.

ومن أرسل بصره تكدر عليه قلبه، وأظلم، وانسدَّ عليه باب العلم، وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنه يورث قوة القلب، وثباته، وشجاعته; فَيُجْعَل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

الفائدة السادسة: أنه يورث القلب سرورًا، وفرحاً، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالن_ظر; وذلك لِقَهْرِه عَدُوَّه بمخالفته، ومخالفة نفسه، وهواه.

ثم إنه لما كفَّ لذته، وحبس شهوته الله وفيها مسرَّةُ نفسه الأمَّارة بالسوء

أعاضه الله مسرةً، ولذة أكمل منهـا كمـا قال بعضهم: والله للذَّةُ العفة أعظم مـن لذة الذنب.

ولا ريـب أن النفـس إذا خـالفت هواهـا أعقبها ذلك فرحـاً، وسـروراً ولـذة أكمـل من لذة موافقة الهوى بما لا نسبة بينهما، وها هنا يمتاز العقل من الهوى.

الفائدة السابعة: أنه يخلـص القلـب من أسرْ الشهوة; فإن الأسـير هـو أسـير شهوته، وهواه.

الفائدة الثامنة: أنـه يسـدُّ عنـه بابـاً مــن أبــواب جهنــم; فــإن النظــرة بــاب الشهوة الحاملة على مواقعة الإثم.

الفائدة التاسعة: أنه يقـوي العقـل، ويزيــده، ويثبتــه; فــإن إطلاق البصــر، وإرسـاله لا يحصـل إلا مـن خفـة العقـل، وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب.

الفائدة العاشرة: أنه يخلص القلـب من سُكر الشهوة، ورقدة الغفلة.

وبالجملة ففوائد غض البصر، وآفات إرساله أضعاف أضعافِ ما ذكر.

فعلى من يريد السلامة لنفسه أن يغضَّ طرفه عمّا تشتهيه نفسه من الحرام، وليكن له في ذلك الغضِّ نيةٌ يحتسب بها الأجر، ويكتسب بها الفضل، ويدخل في جملة من نهى النفس عن الهوى.

4_التفكر والتذكر: وذلك باب واسع جداً، والمقام لا يتسع إلا لأقل القليل; فليتفكر العاشق في خطواته إلى لقاء محبوبه، وأنها_مع ما فيها من ضم جراح إلى جراح_مكتوبة عليه، وهو مطالب بها.

وليتفكر في مكالمته محبوبَه; فإنه مسؤول عنها، مع فيها من إلهاب نار الحب.

وليتذكرْ هاذم اللذات، وشدة النزع، وليتفكر في حال الموتى الذي حبسوا على أعمال تجاوزوا فيها; فليس منهم

مـن يقـدر علـى محـو خطيئـة، ولا علـى زيادة حسنة; فلا تَعْث يا مطلق!.

وليتصور عَرْضَه على ربه، وتخجيله لــه بمضيض العتاب.

وليتخيل شـهادة المكـان الـذي وقعـت فيه المعصية.

وليمثل في نفسه عند بعض زلله كيـف يؤمر به إلى النار التي لا طاقــة لمخلــوق بها.

وليتصــور نفــاد اللــذة، وبقــاء العــار والعذاب.

وليتذكر أنه لا يرضى لأحد من محـارمه أن يكــون معشــوقاً، إذا كــان ذا غيــرة; فكيف يرضى ذلك المصير لغيره؟!

5_البعد عن المحبوب المعشوق:

فكـل بعيـد عـن البـدن يـؤثِّر بعـدُه فـي القلب; فليصبر على البعد في بداية الأمر صبر المصاب في بداية مصـيبته، وليبتعـد عن المحبوب، فلا يراه، ولا يسمع كلامـه، ولا يرى ما يذكِّره به.

ثم إن مرَّ الأيام يهون الأمر، قال زهير بن الحباب الكلبي:

إذا ما شئت أن تسلو حبيباً ... فأكثر دونه عدد الليالي

فما سلى حبيبك غير نأي ... ولا أبلى جديدك كابتذال[1]

* وقال امرؤ القيس:

وإنك لم تقطع لبانة عاشق ... بمثل رواح أو غدوٍّ مؤوّب[2]

6_الاشتغال بما ينفع: فقد مرَّ قبل قليل أن من أسباب العشق الفراغَ; لذلك فكل ما يشغل القلب من المعاش، والصناعات، والقيام على خدمة الأهل، ونحو ذلك_فإنه يسلي العاشق; لأن العشق شغل الفارغ_كما مر_.

فهو يمثل صورة المعشوق في خلوته; لشوقه إليها; فيكون تمثيله لها إلقاءًا في باطنه; فإذا تشاغل بما يوجب إشتغال القلب بغير المحبوب_درس الحبُّ، ودثر العشق، وحصل التناسي.

---

[1] () ذم الهوى ص473.

[2] () ديوان امرئ القيس ص39.

7_الزواج: ولو بغير من عشقها; فإن في الزواج كفايةً وبركة وسلوة.

وإن كان متزوجاً فليكثر من الجماع; فإنه دواء.

=ووجه كونه دواءًا أنه يقلل الحرارة التي منها ينتشر العشق، وإذا ضعفت الحرارة الغريزية حصل الفتور، وبرد القلب; فخمد لهب العشق+[1].

فإن كان المعشوق امرأة يمكن الزواج بها فليفعل; فذلك من أنفع الدواء; لأن النكاح يزيل العشق، وإن تعسر فليلجأ إلى الله في تسهيله، وليعامله بالصبر على ما نهى عنه، فربما عجل مراده.

وإن عجز عن ذلك، أو كان المعشوق لا سبيل إلى تحصيله كذات الزوج_فليلازم الصبر; وليسأل الله السلوَّ.

8_عيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وزيارة القبور، والنظر إلى الموتى، والتفكر في الموت وما بعده; فإن ذلك

---

[1]() ذم الهوى ص476.

يطفئ نيران الهوى كما أن سماع الغناء واللهو يقويه; فما هو كالضد يضعفه.

9_مواصلة مجالس الذكر: ومجالس الزهاد، وسماع أخبار الصالحين.

10_قطع الطمع باليأس، وقوة العزم على قهر الهوى: فإن أول أسباب العشق الاستحسان، سواء تولّد عن نظر، أو سماع، فإن لم يقارنه طمع في الوصال، وقارنه الإياس من ذلك_لم يحدث له العشق.

فإن اقترن به الطمع، فصرفه عن فكره، ولم يشتغل قلبه به_لم يحدث له ذلك.

فإن أطال مع ذلك الفكرَ في محاسن المعشوق، وقارنه خوفُ ما هو أكبر عنده من لذة وصاله، إما خوف من دخول النار، وغضب الجبار، وإدخار الأوزار، وغلب هذا الخوف على هذا الطمع_لم يحدث له العشق.

فإن فـاته هـذا الخـوفُ، فقـارنه خـوف دنيـوي كخـوف إتلاف نفسـه، أو مـاله، أو ذهاب جاهه، وسقوط مرتبته عند الناس، وسقوطه من عين من يعزّ عليـه، وغلـب هذا الخوف لداعي العشق_دفعه.

وكذلك إذا خاف من فوات محبوب هـو أحـب إليـه، وأنفـع مـن ذلـك المعشـوق، وقدم محبته على محبة المعشوق_انـدفع عنه العشق.

11_المحافظـــة علـــى الصـــلاة:

وإعطاؤها حقها من الخشـوع، والتكميـل لها ظاهراً وباطناً.

قال_تعالى_:[**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**] (العنكبوت: 45).

قال شيخ الإسلام ابن تيميـة×: =فـإن الصلاة فيها دفـع مكـروه، وهـو الفحشـاء والمنكر، وفيها تحصيل محبوب وهو ذكـر الله+[1].

---

[1]() العبودية ص100.

12_زجر الهمة الأبية: عن مواقف الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل; فمن لم تكن له همة أبية لم يكد يتخلص من هذه البلية; فإن ذا الهمة يأنف أن يملك رقَّه شيء، وما زال الهوى يذل أهل العز.

وهذا الذل لا يحتمله ذو أنفة; فإن أهل الأنفة حملهم طلب علو القدر على قتل النفوس، وإجهاد الأبدان في طلب المعالي، ونحن نرى طالب العلم يسهر ويهجر اللذات; أنفة من أن يقال له: جاهل، والمسافر يركب الأخطار; لينال ما يرفع قدره من المال; حتى إن رُذالة الخَلْق ربما حملوا كثيراً من المشاق; ليصير لهم قدر، وهذا القائل يقول:

وكل امرئ قاتل نفسه على أن يقال له: إنه[1]

فأما من لا يأنف الذل وينقاد لموافقة هواه_فذاك خارج عن نطاق المتميزين.

---

[1]() ذم الهوى ص479.

13_شــرف النفــس، وزكاؤهــا، وحمِيَّتُهــا: فـذلك يـوجب أن تنـأى عـن الأسـباب الـتي تحـطّ قـدرها، وتخفـض منزلتها.

وإنما تعلو قيمة المرء، وتسـمو مكـانته بقدر نصيبه من شرف النفـس، وزكائهـا، وحميتهــا; فــإذا علمــت نفــس طــاب عنصــرها، وشــرف وجــدانها أن مطمــح الهمم إنما هـي غاية، وحيـاة وراء حياتهـا الطبيعيــة لــم تقــف بسـعيها عنــد طمـع بوصال، أو أمل بنظرة.

بل لا تسـتفيق جهـدها، ولا يطمئـن بهـا قرارها إلا إذا بلغت مجداً يصـعد بهـا إلـى أن تختلط بكواكب الجوزاء.

فلا يكــون_إذاً_مــن وراء العشــق إلا إذلال النفس، وموت الشـرف، والضـعة، والتسـفل; أو ليـس مـن الـذل أن تكـون حياة الإنسان معلقة بغيره، وسعادته بيــد سواه; فهو مضطر إليـه، وهـو لعبـة فـي يديه، إن أقبل سَـعُد، وإن أعـرض شـقي،

وإن مال إلـى غيـره اسـودت الـدنيا فـي عينيه؟

هذا_والله_الصغار بعينه، وهذا هو الذل الذي لا ينفع معه المال الكـثير، ولا الجـاه العريض.

أليســت هــذه هــي حقيقــة الحــب، والعشـق الـذي ألّهـه الشـعراء؟ أليسـت هـذه هـي حـال مـن غايـةُ طمـوحه أن يواصله معشوقه بكلمة، أو إشارة، أو مـا هو أدنى أو أعلى من ذلك؟!

* قال الأعشى:

أرى ســفها تعليــق قلبه بغاية خود متى تـدن تبعـد[1]

* وقال أبو فراس الحمـداني مفتخـرًا بشرف نفسـه، عائبـاً علـى مـن سـفلت **همته**، واسترقه هواه:

لقد ضلَّ مَـنْ تحـوي هواه خَريدةٌ وقد ذل مـنْ تقضـي عليه كَعابُ

ولكنني والحمـد للـه أعـزُّ إذا ذلـت لهـن رقابُ

---

[1]() ديوان الأعشى ص47.

ولا تملك الحسناء قلبي كله ... ولو شمَّلَتْها رقة وشباب[1]

* وقال أبو علي الشبل:

وآنف أن تعتاق قلبي خريدةٌ ... بلحظ وأن يروي صداي رضاب

وللقلب مني زاجر يُجَنِّبُه طُرْقَ الهوى ... من مروءة فيحجم[2] ار

* وقال منصور الهروي:

خلقت أبي النفس لا أتبع الهوى ... ولا أستقي إلا من المشرب الأصفى

ولا أحمل الأثقال في طلب العلى ... ولا أبتغي معروف من سامنى خسفا

ولست على طبع الذباب متى يُذَدْ ... عن الشيء يسقط فيه وهو يرى الحتفا[3]

* وقال ابن المقفع: =اعلم أن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأقتلها للعقل، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة، والوقار_الغرامَ بالنساء.

---

[1] () ديوان أبي فراس الحمداني ص13.

[2] () ذم الهوى ص480.

[3] () ذم الهوى ص480.

ومـن البلاء علـى المغـرم بهـن أنـه لا ينفكُّ يأجم[1] ما عنده، وتطمح عيناه إلـى ما ليس عنده منهن.

وإنمـا النسـاء أشـباه، ومـا يـتزين فـي العيـون، والقلـوب مـن فضـل مجهـولات على معروفات باطـل وخدعـة، بـل كـثير مما يرغب عنه الراغب مما عنـده أفضـل مما تتوق إليه نفسه منهن+[2].

وقال: =ومن العجب أن الرجـل الـذي لا بأس بلُبِّه ورأيه يـرى المـرأة مـن بعيـد متلففة في ثيابهـا، فيصـور لهـا فـي قلبـه الحسن، والجمال، حتى تَعْلَـقَ بهـا نفسـه من غيـر رؤيـة، ولا خـبر مُخـبر، ثـم لعلـه يهجم منها علـى أدَمِّ الدمامـة، فلا يعظـه ذلـك، ولا يقطعـه عـن أمثالهـا، ولا يـزل مشغوفاً بما لم يَذُق حتى لو لم يَبْـقَ فـي

---

[1] () يأجم: يمل.

[2] ()الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع ص 149_150.

الأرض غيرُ واحدة لظن أن لها شـأناً غيـر ما ذاق.

وهذا هو الحمق، والشـقاء، والسـفه+ [1].

وبالجملة فشرف النفس وزكاؤها يقود إلى التسامي، والعفة، والجلالة; ذلـك أن المرء بين عاطفة تخدعه، وشهوة تتغلـب عليه; فمتى ما لم يجد من عقله سائسـاً، ومـن دينـه وازعـاً يقاومـان الضـعف، ويصـارعان الميـول والأهـواء_وقـع فـي الخطايا، وانغمس في الشرور والرذائل.

وإن قـوي علـى عصـيان الهـوى، والنفـس، والشـيطان، والشـهوة، وثبـت في مواقف هذا الصراع الهائل_كان في عداد المجاهدين، وترتـب علـى انتصـاره وفـوزه جميـع المكـارم والفضـائل الـتي تنتهي به إلى خيري الدنيا والآخرة.

ومن كان ذا نفـس تـرى فلا بـــدَّ يومـــاً
الأرض جولةً للسموات يرتقي

---

[1] () الأدب الصغير والأدب الكبير ص150.

14_التفكر في عيوب المحبـوب:

فمحبوبك ليس كما في نفسـك; فأعمـل فكرك في عيوبه تسْلُ.

قـال ابـن الجـوزي×: =فـإن الآدمـي محشـو بالأنجـاس والأقـذار، وإنمـا يـرى العاشق معشوقه فـي حـال الكمـال، ولا يصـور لـه الهـوى عيبـاً; لأن الحقـائق لا تنكشف إلا مع الاعتدال، وسلطان الهوى حـاكم جـائر، يغطـي المعـايب، فيـرى العاشقُ القبيحَ من معشوقه حسناً+[1].

وقال: =وقـال الحكمـاء: عيـن الهـوى عوراء.

وبهـذا السـبب يعـرض الإنسـان عـن زوجته، ويؤثر عليها الأجنبيـة، وقـد تكـون الزوجة أحسن.

والسبب في ذلك أن عيوب الأجنبية لم تَبِنْ له، وقد تكشفها المخالطة.

ولهذا إذا خالط هذه المحبوبة الجديدة، وكشـفت لـه المخالطـة مـا كـان

---

[1]() ذم الهوى ص86.

مستوراً_ملَّ، وطلب أخرى إلى ما لا نهاية له+[1].

وقال×: =فاستعمال الفكر في بدن الآدمي وما يحوي من القذارة، وما تستر الثياب من المستقبح_يُهَوِّنُ العشق; ولهذا قال ابن مسعود: إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها.

وقال بعض الحكماء: من وجد ريحاً كريهة من محبوبه سلاه، وكفى بالفكر في هذا الأمر دفعاً للعشق+[2].

* قال أبو نصر بن نباتة:

ما كنت أعرف عيبَ حتى سلوت فصرت لا
من أحبتُه أشتاق

وإذا أفاق الوجد رأت القلوب ولم تر
واندمل الهوى الأحداق[3]

ولهذا تجد العاشق يغالي في معشوقه، ويُصوِّر له في قلبه ما يصور; لأن عقله شبه غائب، مع أن أقرب الناس للمعشوق، وأعرفهم به_لا يرون له ذلك

---

[1] () ذم الهوى ص86.
[2] () ذم الهوى ص86.
[3] () ذم الهوى ص486_487.

الشان; بل ربما رأوه أقل من ذلك بكثير، بل ربما لم يروا له فضلاً البتة.

15_تصـوُّر فقـدِ المحبـوب: إمـا بموته، أو بفراق يحدث عن غير اختيار، أو بنوع ملل، فيزول مـا أوجـب مـن المحـن الزائدة على الحدِّ التي خسر بها المحــب جاه الدنيا والدين.

16_النظـــر فـــي العاقبـــة: فالعاقل_إذاً_هو من وزن ما يحتوي عليه العشق من لذة ونُغْصَة; فنُغصُـهُ كـثيرة، وأذاه شديد، وغالب لذَّاته محرم، ثم هي مشــوبة بــالغموم، والهمــوم، وخــوف الفــراق، وفضــيحة الــدنيا، وحســرات الآخـرة; فيعلـم المـوازنُ بيـن الأمريـن، النـاظرُ فـي العاقبـة_أن اللـذة مغمـورة في جنب الأذى.

وأعقل الناس من لم يركب سيئاً حتى يفكـر مـا تجنـي عـواقبه[1]

17_أن يعلـم المبتلـى أن الابتلاء سبب لظهور جواهر الرجال: فربما

[1]() ذم الهوى ص493.

ابتلي الإنسان بذلك، فإن صبر ظهر فضله، وكمل سؤدده، ونقل إلى مرتبة أعلى، وربما نال محبة خالقه، تلك المحبة التي تملأ قلبه، وتغنيه عن كل محبة.

18_النظر فيما يُفَوِّته التشاغل بالعشق من الفضائل: فإن أرباب اليقظة عشقُهم للفضائل من العلوم، والعفة، والصيانة، والكرم، وغير ذلك من الخلال المحمودة_أوفى من ميلهم إلى شهوات الحس; لأن شهوات الحس حظ النفس، وتلك الخلال حظ العقلِ، والنفسُ الناطقة الفاضلة إلى ما يُوثر العقلُ أميلُ، وإن جرَّها الطبع إلى الشهوات الحسية.

19_النظر في حال العشاق: وما هم عليه من العذاب، وكيف كانوا يعيشون على هامش الحياة، وكيف انفرطت عليهم مصالح دينهم ودنياهم; فإن ذلك يوقف العاقل على حقيقة

العشق; فما الذي خبَّل مجنونَ ليلى? وما الذي غدا بلبِّ جميل بثينة? وما الذي تيَّم كثير عَزَّة?

إنه العشق الذي ألبسهم ثوبه، وكساهم حُلَّته، وربط اسم كل واحد منهم باسم معشوقته; فأصبحوا لا يذكرون إلا ويذكر معهم العشق، وضعة النفوس، ودنو الهمم، فهذا جميل بثينة_على سبيل المثال_لما دعي للجهاد في سبيل الله في وقت كانت الفتوحات الإسلامية تتسع، وتعظم_قال:

يقولون جاهد يا جميلُ بغزوة ... وأيّ جهاد غيرَهنَّ أريد

لكل حديث بينهن بشاشةٌ ... وكل قتيلٍ عندهن شهيد[1]

فانظر كيف قصر همته على ملاحقة النساء، ومطاردتهن; فهذا هو جهاده، وتلك هي شهادته!

أين هذا وأمثاله من أولي الهمم العلية، والعزائم القوية? أين هم من صقر

---

[1]() شرح ديوان جميل بثينة ص21.

قريش عبد الرحمن الداخل_على سبيل المثال _? هذا الرجل الذي أهديت له جارية بارعة الجمال أول قدومه الأندلس، فلما رآها قال: إن هذه من القلب والعين بمكان، وإن أنا شغلت عنها بما أهِمُّ به ظلمتها، وإن أنا اشتغلت بها عما أهِمُّ به ظلمت همتي; فلا حاجة لي بها الآن، وردَّها على صاحبها.

فانظر إلى هذا الرجل لما عصى هواه، ولم يسترسل مع شهوته_كيف نال ما نال.

هذا الرجل الذي ولي الأندلس وهي ولاية تميد بالفتن، وتشْرَقُ بالدماء، فما لبث أن قرَّت له، وسكنت لهيبته، ثم خرج في طليعة من جنده، فافتتح سبعين حصناً في غزوة واحدة، ثم أمعن في قلب فرنسا، وتغلغل في أحشاء سويسرا، وضم أطرافاً من إيطاليا، حتى ريَّض كل أولئك له.

وبعد أن كانت قرطبة دار إمارة يذكر فيها الخليفة العباسي على منابرها، وتمضي باسمه أحكامها أصبحت مقر خلافته، يحتكم إليها عواهل أوربا، وملوكها، ويختلف إلى معاهدها علماء الأمم وفلاسفتها.

قال أبو جعفر المنصور لأصحابه يوماً: أخبروني عن صقر قريش، فذكروا له طائفة من الخلفاء، وهو يقول: (لا) فقالوا: من يا أمير المؤمنين؟ فقال: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلداً أعجمياً مفرداً، فمصرَّ الأمصار، وجنَّد الأجناد، ودوَّن الدواوين، وأقام مُلْكاً بعد انقطاعه; لحسن تدبيره، وشدة شكيمته[1].

هذه بعض الأسباب المعينة على علاج العشق، الواقية _بإذن الله_ لمن لم يقع فيه.

---

[1]() انظر: رسائل الإصلاح 1/69.

فحري بمن أخذ بهـا أن يُعـان، ويوفّـق; فإن جاهد، وصابر، ثم بقي بعد ذلـك فـي قلبه ما بقي فإنه لا يلام عليه.

يقول الجنيد×: =الإنسان لا يعاب بمـا في طبعـه، إنمـا يعـاب إذا فعـل بمـا فـي طبعه[1].

وقال ابن حزم×: =لا عيب علـى مـن مال بطبعه إلى بعض القبائح ولو أنه أشد العيوب وأعظم الرذائـل، مـا لـم يظهـره بقول أو فعل.

بل يكاد يكون أحمدَ ممن أعـانه طبعـه على الفضائل.

ولا تكون مغالبة الطبع الفاسـد إلا عـن قوة عقل فاضل+[2].

وقال ابن الجـوزي×بعـد إيـراده عـدداً من الأدوية النافعة لـداء العشـق: =فـإن قـال قائـل: فمـا تقـول فيمـن صـبر عـن حبيبه، وبالغ في استعمال الصبر، غيـر أن

---

[1]() ذم الهوى ص497.

[2]()الأخلاق والسير لابن حزم ص78_79.

خيــال الحــبيب فــي القلــب لا يــزول، ووسواس النفس به لا ينقطع؟

فالجواب: أنه إذا كففت جوارحك فقــد قطعت موادَّ الماء الجاري، وسينضب مــا حصل في الوادي مـع الزمـان، خصوصـاً إذا طلعت عليـه شـمسُ صـيف الخـوف، ومـرّت بـه سـمومُ المراقبـة لمـن يـرى الباطن فما أعجل ذهابه.

ثم استغث بمـن صـبرت لأجلـه، وقـل: إلهي! فعلتُ ما أطقتُ; فاحفظ لي مـا لا طاقة لي بحفظه+[1].

وقـال شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة×فـي معــرض حــديث لــه عــن العشــق، وعلاجه»وميلُ النفـس إلـى النسـاء عـام في طبع جميع بني آدم، وقـد يبتلـى كـثير منهم بالميل إلى الذكران كالمردان، وإن لم يكن بفعل الفاحشة الكـبرى كـان بمـا هو دون ذلك من المباشرة، وإن لم تكــن

---

[1]() ذم الهوى ص496.

كان بالنظر، ويحصل للنفس بذلك ما هـو معروف عند الناس.

وقد ذكر الناس من أخبـار العشـاق مـا يطول وصفه; فإذا ابتلي المسـلم ببعـض ذلك كان عليه أن يجاهد نفسه في طاعة اللـه_تعـالى_وهـو مـأمور بهـذا الجهـاد، وليس هو أمراً حرَّمه على نفسه; فيكون في طاعة نفسه وهواه.

بـل هـو أمـر حرَّمـه اللـه ورسـوله، ولا حيلة فيه; فتكون المجاهـدة للنفـس فـي طاعة الله ورسـوله[1].وقـال فـي موضـع آخـر: =وليتخـذ ورداً مـن الأذكـار فـي النهـار، ووقـت النـوم، وليصـبر علـى مـا يعرض له من الموانع والصوارف; فإنه لا يلبث أن يؤيـده اللـه بـروح منـه، ويكتـب الإيمان في قلبه. وليحـرص علـى إكمـال الفرائض من الصـلوات الخمـس باطنـة، وظـاهرة; فإنهـا عمـود الـدين. وليكـن هجِّيراه:+ لا حول ولا قوة إلا بـالله فإنهـا

---

[1]() مجموع الفتاوى لابن تيمية 14/207.

بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهـوال، وينـال رفيع الأحوال[1].

وقال:×=فأمـا إذا ابتلـي بالعشـق وعـف وصبر فإنه يثاب على تقوى الله.

وقد روي في الحـديث أن: =مـن عشـق فعف، وكتم، وصبر، ثم مـات كـان شـهيداً+[2].

وهو معروف من رواية يحيى القتات عــن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً، وفيــه نظــر، ولا يحتج بهذا.

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظـراً، وقـولاً، وعملاً، وكتـم ذلك فلم يتكلم بـه حـتى لا يكـون فـي ذلـك كلام محرم: إما شكوى إلى المخلوق، وإمــا إظهار فاحشة، وإما نوع طلب للمعشوق.

وصبَرَ علـى طاعـة اللـه، وعـن معصـيته، وعلى ما في قلبه من ألم العشق كما يصبر

---

[1]() مجموع الفتاوى 10/137.

[2]() مضى تخريج الحديث.

المصاب عن[1] ألم المصيبة_فإن هذا يكـون ممن اتقى الله وصبر[2].

وقال× في موضع آخـر: =فـإن اللـه أمـر بالتقوى والصبر; فمن التقوى أن يعـف عـن كل ما حرم الله، من نظر بعين، ومـن لَفْـظ بلسان، ومن حركة برجل.

والصبر أن يصبر عن شـكوى مـا بـه إلـى غير الله; فإن هذا هو الصبر الجميل.

* وأما الكتمان فيراد به شيئان:

أحـدهما: أن يكتـم بثَّـه وألمـه، ولا يشـكو إلى غير اللـه; فمـتى شـكى إلـى غيـر اللـه نقص صبره.

وهذا أعلى الكتمانين، ولكن هـذا لا يَصْـبِر عليه كلُّ أحد، بل كثير من الناس يشـكو مـا بـه، وهـذا علـى وجهيـن: فـإن شـكى إلـى طبيب يعرف طبَّ النفـوس; ليعالـج نفسـه بعلاج الإيمان; فهو بمنزلة المستفتي، وهـذا حسن.

وإن شكى إلـى مـن يعينـه علـى المحـرم فهذا حرام، وإن شكى إلـى غيـره; لمـا فـي

---

[1] () هكذا وردت في الأصل ولعلها: على.

[2] () مجموع الفتاوى 10/133.

الشكوى من الراحة_كما أن المصاب يشكو مصيبته إلى الناس من غير أن يقصد تعلّم ما ينفعه، ولا الاستعانة على معصيته_فهذا ينقص صبره، لكن لا يأثم مطلقاً إلا إذا اقترن به ما يحرم، كالمصاب الذي يتسخط.

والثاني: أن يكتم ذلك فلا يتحدث به مع الناس; لما في ذلك من إظهار السوء والفحشاء; فإن النفوس إذا سمعت مثل هذا تحركت، وتشهَّت، وتمنت، وتتيمت.

والإنسان متى رأى، أو سمع، أو تخيَّل من يفعل ما يشتهيه كان ذلك داعياً إلى الفعل[1].

---

[1] () مجموع الفتاوى 14/207_209.

كلمة أخيرة

وفي نهاية المطاف هـذه كلمـة وداع أخيـرة توجه إلى أدباء الأمة، وشعرائها، وكتابها; فيقال لهؤلاء: إن أمتنا اليوم ليست بحاجة إلـى مزيـد من العشاق، وليست بحاجة إلى من يذكي أوار نيران العشـق; فلـدى الأمـة مـن الأمـراض مـا يكفيها; فكيف نزيدها وهناً على وهن؟!

إن أمتنا بأمسِّ الحاجـة إلـى الأقلام الجـادة، والهمـم العليـة، والعزائـم القويـة، والعقـول المستنيرة; فنحن في عصرٍ: شعارُه:

(إن لم تكن آكلاً كنت مـأكولاً، وكُـنْ قَوِيَّاً تحترمْ)

وبـذلك يرجـع للأمـة سـالف مجـدها، وتتبـوأ مكانها اللائق بها، والله غالب على أمره ولكـن أكثر الناس لا يعلمون.

وأخيـراً أسـأل اللـه بأسـمائه الحسـنى، وصـفاته العلـى أن يجنبنـا طـرق الـردى، وأن يأخذ بأيدينا إلـى مـا فيـه صـلاح ديننـا ودنيانـا، وآخـر دعوانـا أن الحمـد اللـه رب العـالمين، وصـلى اللـه وسـلم علـى نبينـا محمـد وآلـه وصحبه أجمعين.

الطبعة الأولى: 3 / 8 / 1420 هـ
الطبعة الثانية: 24 / 2 / 1422 هـ

الفهرس

_ مقدمـــــــــــــــــــــــة	3
_تعريـــــــــــــف العشـــــــــــق	6
_مـــــــن أســـــــماء العشـــــــق	9
_أنـــــــــــواع العشـــــــــــق	11
_خطـــــــر العشـــــــق، وضـــــــرره	13
_مـــــــن أضـــــــرار العشـــــــق: الظلم.....	25
_مـــــن أضـــــرار العشـــــق: الزنـــــا واللواط.....	29
مـــــــن أضـــــــرار الزنـــــــا واللواط:	30

.....	
مـــــــن أضـــــــرار اللـــــــواط	30
مـــــــــــن أضـــــــــــرار الزنا.....	33
_أســـــــــــــــــــــــباب العشق:	37
1_الإعـــراض عـــن اللـــه _عـــز وجل_.....	37
2_الجهـــــــــل بأضـــــــــرار العشق.....	37
3_الفراغ.....	38
4_وســـــــــــــــــــــائل الإعلام.....	39
5_التقليـــــــــــــــــــــد الأعمى.....	41

.....	
6_الانحــراف فــي مفهــوم الحــب والعشق.....	42
7_الاغترار ببعض الأقوال الـتي تبيـح العشق.....	51
8_التهتـــــــــك، والتـــــــــبرج، والسفور.....	58
9_إطلاق البصر.....	58
10_المعاكســـــــــــــــات الهاتفية.....	61
_كيفيـــــــة التوبـــــــة مـــــــن العشق.....	64
_الأسباب المعينة على التخلـص مـن العشق:	66
1_الإخلاص للـــــــــه _عـــــــــز وجل_.....	67

2_الدعاء.....	69
3_غـــــــــــــــــــــــض البصر.....	69
مـــــــن فوائـــــــد غـــــــض البصر.....	75
4_التفكـــــــــــــــــــــــر، والتذكر.....	78
5_البعـــــد عـــــن المحبـــــوب المعشوق.....	79
6_الاشـــــــــــتغال بمـــــــــا ينفع.....	80
7_الزواج.....	80
8_عيـــادة المرضـــى، وتشـــييع الجنائز.....	81

9_مواصـــــــــلة مجـــــــــالس الذكر.....	82
10_قطــع الطمــع باليــأس، وقــوة العـــــــزم علـــــــى قهـــــــر الهوى.....	82
11_المحافظـــــــــة علـــــــــى الصلاة.....	83
12_زجـــــــــــر الهمـــــــــــة الأبية.....	83
13_شـــرف النفـــس، وزكاؤهـــا، وحميتها.....	84
14_التفكـــــــر فـــــي عيـــــوب المحبوب.	89
15_تصـــــــــــوّر فقـــــــــــد المحبوب.....	91
16_النظـــــــــــر فـــــــــــي	9

العاقبة.....	2
17_أن يعلـــم المبتلـــى أن الابتلاء ســـــبب لظهـــــور جـــــواهر الرجال.....	92

18-النظــر فيمــا يفــوِّته التشــاغل بالعشـــــــــــق مـــــــــن الفضائل.....	92
19_النظـــــر فـــــي حـــــال العشاق.....	93
_لا يلام الإنسـان علـى مـا بقـي فـي قلبـــــــه بعـــــــد الأخـــــــذ بالأسباب.....	96
_كلام للجنيــد وابــن حــزم وابــن الجـــــــــوزي فـــــــــي علاج العشق.....	96

_كلام لابـــــن تيميـــــة فـــــي علاج العشق.....	97
_كلمـــــــــــــــــــــــــــــــة أخيرة.....	102